الاستمطار الصناعي بين الحظر والإباحة

« دراسة فقهية مقارنة »

الدكتـــــورة
سعاد محمد عبد الجواد بلتاجي
الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بالإسكندرية

الاستمطار الصناعي بين الحظر والإباحة

مقدمة :

الحمد لله العزيز الوهاب، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب، ومنزل المطر من السحاب، المتفرد بلطائف الصناعات مَا يتحير فِيهِ عقول ذَوي الأَلْبَاب، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء من غير شك ولا ارتياب، والصلاة والسلام على من جاء بخير كتاب، وأبلغ خطاب، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وسائر الأصحاب. أما بعد..

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق الإنسان وكرمه، ومنحه العقل وفهمه، لكي يفكر في أمر معاشه ومعاده بقدر ما علمه ربه وألهمه، ولم يغلق الله - عز وجل - للعلم بابا، بل أمر الإنسان أن يفكر ويتأمل ويطرق للعلم والاجتهاد أبوابا، ويسلك إليه أزقة ودروبا، وأن يراقب الكون وظواهره الطبيعية المتكررة والمتغيرة في نطاق مقدوره البشري، وفيما لا يعارض التصريف الإلهي، فيربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، دون شك أو ريب بأن الامر كله بيد خالق الأرض والسموات، بل هو امتثال لأمر المولى - عزو جل - بالنظر والتفكر الوارد في قوله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ ﴾[1].

وهذا ما دفع علماؤنا المعاصرون ممن وهبهم الله فكرا صائبا وعقلا مفكرا أن يتصدوا للكثير من المشكلات والنوازل العلمية المعاصرة والتي باتت تشكل خطرا أو مشكلة تتهدد حياة الناس أو توقعهم في حرج أو ضرر، وكلاهما مرفوع في شريعتنا الغراء،﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2]، وقال النبي ﷺ : «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ».[3]

---

(١) سورة النمل، من الآية: ٦٩

(٢) سورة الحج، من الآية: ٧٨

(٣) أخرجه أحمد في مسنده 313/1، حديث رقم: 2867، وابن ماجه في سننه 784/2 رقم : 2340، 2341 كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، والدارقطني في سننه 77/3 رقم : 288، كتاب البيوع، والحاكم في المستدرك على الصحيحين 66/2 رقم : 2345، كتاب البيوع، وقال: هذا حديث

فحاول العلماء أن يستفيدوا من المعطيات الإلهية والمنح الربانية في حل الكثير من المشكلات والملمات، ومنها ما ظهر حديثا من مشكلة نقص كميات المياه في بعض المناطق من بلاد العالم، مما شكل خطرا قائما أو محتملا، فأهمية الماء بالنسبة لسائر المخلوقات قضية إلهية حسمها المولى ﷻ بقوله﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]،فلا غنى لأي مخلوق عنه إنسانا كان أو حيوانا أو نباتا.

ونظراً لكون الماء عنصراً أساسيّاً تحتاج إليه جميع أصناف الكائنات الحيّة فإنّ الماء يحظى بالعناية الكبيرة والخاصّة من قبل الدول؛ لأن توفير الماء يعني توفير الحياة للإنسان.

ويشكل الماء نسبة كبيرة من مساحة الكرة الأرضية، تصل إلى ٧١٪ ، أي ما يعادل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية، وتتمثل هذه النسبة في المسطحات المائية من المحيطات، والبحار، والبحيرات، والأنهار، والينابيع، وغيرها.[2]

غير أنه تعاني العديد من دول العالم من نقصٍ كبير في المياه، وذلك ناتج عن نقص حاد في مصادر المياه، وعلى رأسها مياه الأمطار؛ فالدولة التي تقلّ فيها معدلات الأمطار عن الحدود الطبيعيّة تزداد فيها نسبة العطش والجفاف، وبالتالي الموت إن وصلت الأمور إلى حدود غير طبيعيّة كما يحدث في بعض الدول .[3]

وقد أصدر معهد الموارد العالمية دراسة جديدة تظهر أن مخزون المياه في الشرق الأوسط سيتدهور على مدى الأعوام الـ 25 القادمة، ليهدد النمو الاقتصادي والأمن القومي.

ووفقا للقائمة التي وضعها معهد الموارد العالمية فهناك 33 دولة حول العالم تعاني من نقص حاد في المياه، منها 14 دولة تقع في منطقة

صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (ينظر: المستدرك على الصحيحين 66/2)، وأخرجه غيرهم.

(١) سورة الأنبياء، من الآية: ٣٠

(٢) بحث حول أهمية الماء بواسطة: ايناس كمال – (بتصرف) ٨ يونيو ٢٠١٦، http://mawdoo

(٣) أهمية الماء للإنسان، ١٠ مايو ٢٠١٥، http://mawdoo

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وبحلول عام 2040م هناك 10 دول عربية أكثر عرضة لأسوأ أزمة مياه تتصدرها : البحرين والكويت وفلسطين وقطر والإمارات والسعودية وعُمان ولبنان، والأردن، وليبيا، ويأتي بعدهم في المرتبة اليمن والمغرب ثم العراق وسوريا.

وتابع التقرير أن بلدانا أخرى يحتمل أن تعاني نقصا في المياه بحلول 2040م مثل إسبانيا وتشيلي، وذلك في ظل ارتفاع درجات الحرارة وتذبذب هطول الأمطار.(١)

كما أن العوامل التي شكلت مناخ بعض البلاد أسهمت في وقوع أراضيها في ظل المناخ الصحراوي الجاف، الأمر الذي جعلها مقفرة مائياً، علاوة على التذبذب بنزول الأمطار وقلتها، ونظراً لشح الموارد المائية وظروف التوسع السكاني؛ ونظرا لما يترتب على نقص مصادر المياه عموما والمطر خصوصا من مشكلات؛ تبرز أهمية عمليات الاستمطار. فكان لزاماً أن يتدخل العلم في معالجة الجفاف المقدر، ومحاربة التصحر عن طريق استحلاب السحب.(٢)

لذا فقد حاول العلماء المعاصرين دراسة أسباب تلك الظاهرة واقتراح الحلول التي تحد من هذه المشكلة، فكان من ضمن هذه الحلول المطروحة تقنية استنزال المطر بالطرق العلمية الحديثة، وهو ما يطلق عليه علميا: "الاستمطار الصناعي" كحل لمشكلة نقص المياه في بعض بلدان العالم.

---

(١) أكثر 10 دول عربية معرض لأسوأ أزمة مياة بحلول عام 2040 – عمر حميد http://www.topsarabia.com/، ويراجع :نقص المياه يهدد عشرات الدول: http://www.aljazeera.net/news

(٢) الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، الدكتور خالد بن مفلح آل حامد، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو2008م - العدد 14631 على موقع :

http://www.alriyadh.com/359356

ولكونها تقنية علمية استخدمها المختصون من علماء البيئة والأرصاد كان لزاما على المختصين في الدراسات الفقهية تسليط الضوء عليها من الناحية الفقهية لمعرفة الحكم الشرعي فيها من حيث الحظر أو الإباحة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: في تعريف الاستمطار، وأنواعه، وطرقه، وتاريخه، وأسبابه وضوابطه، وفوائده وأضراره، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستمطار الصناعي.

المطلب الثاني: طرق الاستمطار.

المطلب الثالث: تاريخ الاستمطار.

المطلب الرابع: فوائد الاستمطار وأضراره.

المبحث الثاني: الحكم الشرعي للاستمطار الصناعي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث والدراسة:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، حيث تتبعت الأحكام الفقهية ذات العلاقة بموضوع البحث، وقمت بدراستها، وتحليل آراء الفقهاء والمقارنة بينها، وكانت طريقتي في البحث كالتالي:

1- درست مسائل هذا البحث على المذاهب الفقهية الثمانية، وكذا رجعت إلى أراء الفقهاء المعاصرين الذين تتطرقوا إلى موضع هذا البحث.

2- ذَكَرْتُ أدلة الفقهاء عقب ذكر آرائهم، ثم قمت بمناقشة هذه الآراء، وترجيح ما يمكن ترجيحه منها، معضدةً هذا الترجيح بذكر الأسباب التي أدت إلى ترجيحه.

3- عزوت الآياتِ القرآنيةَ المستشهدَ بها في هذا البحث إلى سورها مبينةً رقمها واسم السورة، كما حَرَصْتُ على كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

4 - خرَّجتُ الأحاديث الواردة في ثنايا البحث، وبينت حكمها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت على تخريجه منهما.

5- اعتمدت على كتب التفسير وشروح السنة في بيان أوجه الدلالة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فإذا تعذر ذلك نقلتها من كتب

الفقه المختلفة، وإلا اجتهدت في بيان وجه الدلالة، وذكرت ما يوفقني الله له.

6- استعنت ببعض المراجع الفقهية الحديثة، وبعض مواقع شبكة "الإنترنت" للحصول على بعض المعلومات التي تخدم البحث.

7- اكتفيت بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة في أول موضع؛ لعدم إثقال هوامش البحث، ثم ذكرتها مفصلة في فهرس المصادر والمراجع.

وبعد فهذا جهدي، فإن كان من توفيق فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بشر مني الزلل والنسيان، والله أسألُ العفو والغفران.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١)

الباحثة

سعاد محمد بلتاجي

(١) سورة هود، من الآية: 88

المبحث الأول:
في تعريف الاستمطار، وأنواعه، وطرقه، وتاريخه، وأسبابه وضوابطه، وفوائده وأضراره.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستمطار الصناعي.

المطلب الثاني: طرق الاستمطار.

المطلب الثالث: تاريخ الاستمطار.

المطلب الرابع: فوائد الاستمطار وأضراره.

المطلب الأول: تعريف الاستمطار الصناعي

تعريف الاستمطار في اللغة:

استمطر الشَّخصُ: طلب المطرَ، يقال: خرجوا يستمطرون الله ويتمطرونه[١]، ومنه قول الفرزدق [٢]: "استمطروا من قريش كل منخدع"[٣] أي سلوه أن يعطي كالمطر. [٤] واستمطر الْمَكَان أَو الزَّرْع: احْتَاجَ إِلَى الْمَطَر [٥]، ومكان مستمطر: محتاج إلى المطر وإن لم يمطر؛ قال خفاف بن ندبة[٦]: "لم يكس من ورق مستمطر عودا"[٧].[٨]

وقد يأتي الاستمطار بمعنى الاستسقاء، قال ابن منظور: " الاستمطار: الاستسقاء."[٩] وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "استمطر"، خرج الناسُ يستمطرون الله: خرجوا لصلاة الاستسقاء مستمطرين".[١٠]

---

(١) تاج العروس (14/ 138)، معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 2107) .

(٢) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي سنة 110هـ وقد قارب المائة. (الوافي بالوفيات 224/27 – 228، سير أعلام النبلاء 590/4)

(٣) البيت منسوب إلى لفرزدق في: أمالي القالي (2/ 159)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 818)، لسان العرب (5/ 179)، عيون الأخبار (1/ 327)

(٤) لسان العرب(5/ 179)، ويراجع: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 818).

(٥) المعجم الوسيط (2/ 875) .

(٦) خفاف بْن عُمَيْر بْن الْحَارِث بْن الشريد السّلمِيّ، لَهُ صُحْبَة، وَهُوَ الَّذِي يُقَال لَهُ خفاف بْن ندبة، وَكَانَت ندبَة أمه، وهي ندبة بنت أبان بْن الشيطان، من بني الحارث بْن كعب، وخفاف هذا شاعر مشهور، وكان أسود حالكا. شهد مع النبي ﷺ فتح مكة، ومعه لواء بني سليم، وشهد حنينا والطائف. (الاستيعاب (2/ 450) الثقات لابن حبان (3/ 109)، أسد الغابة (2/ 178)

(٧) البيت منسوب إلى خفاف بن ندبة في: العين (7/ 426)، تهذيب اللغة (13/ 232)، لسان العرب (5/ 179)، تاج العروس (14/ 134)

(٨) لسان العرب (5/ 179) .

(٩) لسان العرب (5/ 179)، ويراجع: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(2/ 818).

(١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 2107) .

والمطر: الماء المنسكب من السحاب، وهو ماء السحاب، والجمع أمطار، والمطر: فعله. والمطرة: الواحدة. [١]

والسَّحَاب: الْغَيْم سَوَاء أَكَانَ فِيهِ مَاء أم لم يكن، والجمع سحب، والقطعة مِنْهُ: سَحَابَة، والجمع سحائب. [٢]

وقيل: السحابة التي يكون عنها المطر؛ سميت بذلك لانسحابها في الهواء[٣]، أو لسحب بعضها بعضا، أو لسحب الرياح لها. [٤]

تعريف الاستمطار في الشرع:

نظرا لأن مصطلح الاستمطار من المصطلحات المعاصرة؛ لذا نجد الفقهاء القدامى لم يتعرضوا له في كتبهم، بل إن ما استعملوه بمعنى الاستمطار هو مصطلح الاستسقاء وقد أورد الفقهاء للاستسقاء تعاريف كثيرة، ولكنها متقاربة في المعنى، منها:

1- عند الحنفية: عرف ابن عابدين الاستسقاء بقوله: "طلب إنزال المطر بكيفية مخصوصة عند شدة الحاجة، بأن يحبس المطر ولم يكن لهم أودية وآبار وأنهار يشربون منها ويسقون مواشيهم وزرعهم، أو كان ذلك إلا أنه لا يكفي، فإذا كان كافيا لا يستسقى." [٥]

2- عند المالكية: الاستسقاء: طلب السقي من الله تعالى لقحط نزل بهم أو بدوابهم، أو غير القحط كتخلف نهر أو احتباس المطر. [٦]

3- عند الشافعية: الاستسقاء: طلب سقيا العباد من الله عند حاجتهم إليها. [١]

---

(١) لسان العرب (5/ 178)، تهذيب اللغة (13/ 231)، العين (7/ 425) .
(٢) المعجم الوسيط (1/ 418)
(٣) لسان العرب (1/ 461)، المحكم والمحيط الأعظم (3/ 209)، ويراجع: مجمل اللغة لابن فارس (ص: 489)، المخصص (2/ 418)
(٤) تاج العروس (3/ 43)
(٥) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (2/ 184)
(٦) الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: 259)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (1/ 280)، ويراجع: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (1/ 402)، بلغة السالك لأقرب المسالك (1/ 537)

4- عند الحنابلة: الاستسقاء: طلب السقيا إذا أجدبت الأرض وقحط المطر أي احتبس وضر ذلك، وكذا إذا أضرهم غور ماء عيون أو أنهار.[٢]

5- عند الظاهرية: يقول ابن حزم عن الاستسقاء: " إن قحط الناس أو أشتد المطر حتى يؤذي فليدع المسلمون[٣]." [٤]

6- عند الزيدية: عرفه الإمام الشوكاني بقوله: " طلب سقي الماء من الله تعالى عند حصول الجدب على وجه مخصوص." [٥]

7- عند الإمامية: الاستسقاء طلب السقيا عند الحاجة إليها.[٦]

خلاصة تعاريف الفقهاء:

بالنظر لتعاريف الفقهاء نجد أنها اختلفت في الألفاظ، ولكنها اتفقت في المعني من حيث إن الاستسقاء يكون عند الحاجة إليه أيا كانت الحاجة؛ لأن الحاجات تتجدد وتكرر.

ولعل أنسب التعاريف للاستسقاء هو تعريف ابن عابدين بعد أن نوجزه فنقول: (الاستسقاء هو طلب إنزال المطر بكيفية مخصوصة عند شدة الحاجة)؛ لأنه أقرب إلى معنى الاستمطار في الاصطلاح والاستعمال المعاصر، فهو مطابق لمدلول الاستمطار حقيقة ومعنى.

تعريف بعض الفقهاء المعاصرين للاستمطار:

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 288)، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (2/ 66)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (3/ 65)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (1/ 191)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (1/ 603)

(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: 167)، المبدع في شرح المقنع (2/ 203)

(٣) المحلى بالآثار (3/ 309)

(٤) لم أقف على تعريف للاستسقاء عند الإباضية

(٥) نيل الأوطار (4/ 5)

(٦) مسالك الأفهام (272/1)، الحدائق الناضرة (478/10)

عرفه الشيخ عبداللطيف المقوشي بقوله: "هو: طلب مطر ممكن بآلة مباحة. "[١]

تعريف الاستمطار الصناعي علميا:

الاستمطار علميا له تعاريف كثيرة منها:

هو محاولة إسقاط الأمطار من السحب الموجودة في السماء، سواء ما كان منها مدرا للأمطار بشكل طبيعي، أو لم يكن كذلك.[٢]

ومن تعريفات الاستمطار أيضا أنه: (عملية تهدف إلى إحداث تغيير في خصائص الغيوم، لتسريع عملية التكاثف ونمو القطرات المائية وزيادة حجمها، ليحدث الهطول بدون تعريض الناس والبيئة للأذى). [٣]

فالاستمطار من الناحية العلمية يقصد به نثر قطع من مادة صلبة في السحب القابلة للزرع التي تكون مشبعة ببخار الماء ليدفع ذلك إلى هطول المطر. وهذه المواد الصلبة أو ما يعرف باسم "نويات التكاثف – أو التجمد– " هي ما يطلق عليه أيضاً اسم "محرضات السحب على الهطول"، ووظيفتها استقطاب جزيئات بخار الماء لتتجمع وتتراكم عليها، وكلما حدثت هذه العملية في ظروف معينة أدى ذلك إلى تشجيع نمو مكونات السحابة وحدوث الهطول وتعاظم كميته. [٤]

ولمزيد من الإيضاح فالاستمطار محاولة اسقاط المطر - أو تسريع هطولها- بشكل صناعي من السحب الموجودة في السماء فوق مناطق هي بحاجة إليها، بدلا من ذهابها إلى مناطق لا حاجة بها إلى الماء لظروفها الطبيعية الملائمة للإدرار الطبيعي، كما يطلق أيضاً على محاولة زيادة ادرار السحابة عما يمكن أن تدره بشكل طبيعي، وكل هذا يتم بتقنية خاصة، ويمكن أن ندرج تحت هذا المفهوم أية عملية تسعى إلى اسقاط

---

(١) نازلة الاستمطار الصناعي، عبد اللطيف المقوشي(ص 137)

(٢) الاستمطار لعلي موسى(ص58)

(٣) المناخ التطبيقي (ص295)

(٤) تقنية الاستمطار، د. عبد الله المسند، ص ٤:http://www.almisnid.com

الأمطار بشكل صناعي بما في ذلك محاولات تشكيل السحب صناعيا، وتنمية مكوناتها.

فالاستمطار إذاً تدخل بشري تقني محدود أو بذر لسحاب بمواد التكثف الطبيعية أو الكيميائية.[١]

ومصطلح الاستمطار الصناعي هو أكثر المصطلحات شيوعا لإجراء هذه العملية، إلا أن هناك مصطلحات أخرى تستعمل للدلالة على الاستمطار، منها: التلقيح، والتطعيم [٢]، والاستدرار الصناعي، واصطياد السحب أو المطر، وتلقيح السحب، وحقن السحب، وصناعة المطر، واستحلاب السحب، وزراعة الغيوم، وبذر الغيوم أو السحب.[٣]

فالمقصود بمصطلح زراعة أو بذر السحب أو الغيوم، هو نشر مواد كيميائية في جرم السحاب لتحريضها على استقطاب جزئيات الماء ليجتمع ويتراكم عليه، علما بأن السحابة إذا تركت لطبيعتها فإنها قد تلقح بمواد عالقة في الجو كالغبار والرماد البركاني والملح والدخان، ورماد الشهب ونحوها، ومن ثم يسقط المطر.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾[٥]

فالرياح المحملة بالغبار وغيره والتي يستثار من خلالها المطر، والاستمطار يقوم بنفس هذه المهمة، فيستثار المطر عبر التقنيات الحديثة المجهزة لمهمة الاستمطار ليكون بإذن الله تحت تأثير مزدوج اللقاح

---

(١) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء محمد عبد الزبيدي ص 5، الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص63)

(٢) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري(ص64، 65)

(٣) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، (ص5، 6)

(٤) سورة النور، من الآية رقم: ٤٣

(٥) سورة الحجر، من الآية رقم: ٢٢

الطبيعي والتحفيزي، فتكون نسبة التهاطل أكثر وقوعا وأسرع بإذن الله.[1]

*****

(١) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري ص64

المطلب الثاني: طرق الاستمطار.

سبق بيان أن الاستِمْطار هو عملية إسقاط المطر من السحب بطريقة علمية بحته تُجْرَى على السحب المتكوِّنة في الجو، ويستخدم الناس هذه الطريقة لزيادة كمية المياه بمنطقة معيَّنة، وقد قام العديد من علماء الولايات المتحدة الذين يعملون بصفة مستقلة بتطوير أساليب الاستمطار وطرقها خلال الأربعينيات من القرن العشرين. (١)

ومن أكثر طرق الاستمطار شيوعا:

١ - رش السحب الركامية المحملة ببخار الماء الكثيف بوساطة الطائرات برذاذ الماء، ليعمل على زيادة تشبع الهواء، وسرعة تكثف بخار الماء لإسقاط المطر، وهذه الطريقة تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء.

٢ - قذف بلورات الثلج - ثاني Hوكسيد الكاربون المتجمد – بوساطة الطائرات في منطقة فوق السحب، لتؤدي إلى خفض درجة حرارة الهواء وتكون بلورات من الجليد عند درجة حرارة منخفضة جداً لتعمل على التحام قطرات الماء الموجودة في السحب وسقوطها كما في حالة المطر الطبيعي.

3 - رش مسحوق ايود الفضة (agj) بواسطة الطائرات، أو قذفه في تيارات هوائية صاعدة لمناطق وجود السحب، ويكون ذلك باستخدام أجهزة خاصة لنفث الهواء بقوة كافية إلى أعلى، ويُعَدّ " يوديد الفضة" من أجود نويات التكاثف الصلبة التي تعمل على تجميع جزيئات الماء، واسقاطها أمطارا غزيرة على الأرض (٢)

---

(١) تقنية الاستمطار د. عبدالله المسند بحث منشور عبر شبكة الانترنت : http://www.ra-ye.com/vb/showthread.php?t=45165

(٢) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الكويت عام ١٤٢٣ هـ (ص413) نقلا عن:

Gagin, A., Neumann, The second Israeli Randomized cloud seeding experiment. Evaluation of Rustts, Journal of Applied Meteorology, 21, 1981, p. 1301- 1311 ،

ويراجع: الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء عبد الزبيدي ص8

وللقيام بتقنية الاستمطار هذه طريقتان رئيستان:

الأولى: طريقة جوية بواسطة طائرة خاصة تحلق تحت السحابة أو فوقها أو داخلها على وفق لطبيعته.

وبهذه الطريقة يتم نثر الغيوم من الجو بواسطة نثر الغيوم (Rain bird) المزودة بنظامين للنثر الجوي، وذلك بواسطة مولدين مثبتين تحت جناح الطائرة.

الثانية: طرق أرضية عبر المدافع المضادة للطيران، وتستخدم كثيرا في الصين؛ إذ يتم استمطار السحب من الأرض بواسطة نثر الغيوم من محطات الاستمطار بأنوية أيوديد الفضة حسب الأوضاع الجوية السائدة، ولكل مرة نثر طريقة.

وخلاصة هاتين الطريقتين حتى يسقط المطر هي القيام بمساعدة قطرات المطر بتزويد الغيوم بأنوية انجماد صناعية في الأجزاء التي تكثر فيها قطيرات الماء، وبالطبع فإن كلاً من هاتين التقنيتين تعتمد وجود الغيوم وعليه لا يمكن القيام بعمليات نثر في الأيام الصافية.

هذا ويعتمد نثر الغيوم بأنوية انجماد صناعية (كأيوديد الفضة) على حقائق يتم اختبارها والتأكد من سلامتها، ومن هذه الحقائق:

١ - وجود ماء بدرجة حرارته تحت الانجماد داخل الغيمة أو توفر قطرات ماء تبقى في حالة السيولة على درجات حرارة دون الصفر المئوي في الغيوم..

2- ضغط بخار الماء فوق الثلج اقل منه فوق الماء تحت الانجماد، وهكذا تتمكن بلورات الثلج من النمو في الحجم على حساب قطرات الماء بتبخر الأخيرة وترسبها على الأولى، وعليه يمكن أن تنمو بلورة الثلج على حساب عدد من قطرات الماء.

٣- توافر أنوية انجماد صناعية لنثرها في الغيوم بتكاليف معقولة، وفي حالة استخدام أنوية أيوديد الفضة كأنوية انجماد صناعية فإن ذلك يتم في الغيوم التي تتراوح درجة حرار ة قمتها ما بين) ١٢م و ٢٠م (.

كما أن تقنية الاستمطار تعمد إلى التفريق بين السحب الباردة والسحب الدافئة؛ لأنه كما هو معلوم أن آلية تشكل ونمو السحب الدافئة

تختلف عن آلية تشكل ونمو السحب الباردة، لذلك فإن هناك اختلاف في مواد البذر المستخدمة لإدرار حمولة السحابة من مكوناتها. [١]

(١) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص9)، ويراجع: الاستمطار في الإسلام (ص413)، الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري ص84 وما بعده.

فلكل نوع من السحب طرق ومسار على النحو الاتي:

أولا: في حالة السحب الباردة تستخدم مادتان الأولى حبيبات ثاني أوكسيد الكربون الجاف "الثلج الجاف" "Dry Ice والثاني "أيوديد الفضة "iodide Silver، وهو أفضل المواد الكيمياوية في تلقيح السحب الباردة.

فالسحب الباردة: يتم بذرها بمواد صلبة لها نفس خاصية البلورات الجليدية في عملية النو والتأثير في السحب مثل:

1- الجليد الجاف(**co2**) [١]

وهو أول المواد المستخدمة في عمليات البذر أو الاستمطار الصناعي.

ومن أهم مميزاته:

أ -تتميز بتكاثرها داخل السحابة.

ب -توفره وقلة تكلفته.

ج- يتميز بفعاليته في بعض الأحوال الجوية. [٢]

عيوبه:

أ- سرعة تبخره.

ب- تغير حالته في بعض الأجواء، حيث يحد من فاعليته في إدرار السحب. [٣]

---

(١) الاستمطار، لأحمد خليل(ص112)، الاستمطار، لفياض (ص 28)، الاستمطار، لعلي موسى (ص70) .

(٢) البدائل المطروحة (ص155)

(٣) البدائل المطروحة (ص 155)

2- أيود الفضة. [١]

يعد من أفضل المركبات الكيمائية في بذر السحب، وأصبحت هذه المادة هي المركب الشائع في عمليات بذر السحب حتى الآن.

ويستخدم القائمون على العملية مادة (آيوديد) الفضة، التي تقذف من الطائرات من ارتفاع يبلغ مداه من كيلو إلى كيلو و 200 متر على سحب، ويشترط أن تكون باردة، وتقع تحت درجة حرارة أقل من الصفر، وأن يكون لها ارتفاع رأسي لا يقل عن 2كم؛ لأنه كلما زاد الامتداد الرأسي للسحابة زادت كمية المطر. ويتم الاستمطار فوق المناطق الجبلية التي تكون فيها التضاريس متباينة، والتي تسمح أيضاً بنمو رأسي للسحابة. كما يتم استخدام أحدث وسائل التكنولوجيا، التي تقدم عرضاً دقيقاً لحركة السحابة، مما يسهل ضبطها، وحقنها بمواد تعمل على إسراع أو إبطاء نموها - حسب الرغبة - وبالتالي التحكم في اختيار المكان الذي ستسقط فوقه الأمطار. ويؤدي نثر آيوديد الفضة إلى تكثيف البلورات الثلجية في السحابة، مما يؤدي إلى سرعة سقوطها بفعل الجاذبية الأرضية. [٢]

أسباب كفاءة أيود الفضة كمحرض لاستمطار السحب[٣]:

1- البنية البلورية لأيود الفضة تشبه تماما بنية بلورات الجليد، وذلك أن شكل بلوراته سداسي كبلورات الجليد.

2- المواضع التي تتخذها ذرات بلورة أيود الفضة في شبكة الجليد تكون مشابهة لمواضع ذرات الأوكسجين، والفراغات في شبكتها تكاد تكون متطابقة.

3- تقارب مستوى الانفصال بين الذرات؛ حيث إن ذرات الأوكسجين في شبكة الجليد تكون بحدود 0، 452 نانومتر، وذرات أيونات الأيود في بلورة أيود الفضة تبلغ 459، 0 نانومتر.

---

(١) انظر: الاستمطار، لأحمد خليل (ص 112)، الاستمطار، لفياض (ص 28)، الاستمطار، لعلي موسى (ص70) .

(٢) اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل، http://www.startimes.com/?t=6686671

(٣) انظر: الاستمطار لعلي موسى(ص80)، والاستمطار لأحمد الخليل (ص113)

4- الشكل المكعبي لأيود الفضة يزيد من فعاليته كذلك في عمله كنويات للتكاثف.

مميزاته:

أ- مشابهته لتأثير الجليد الجاف على السحب.

ب- سهولة استعماله وقلة تكاليفه الأصلية. [١]

عيوبه:

أ- تأثره السلبي بأشعة الشمس، والتي تقلل من فعاليته في البذر.

ب- سميته، واحتمال إضراره بالبيئة الزراعية والمائية وبالصحة العامة للإنسان.[٢]

3- النيتروجين السائل:

له كفاءة عالية مماثلة لكفاءة أيود الفضة من حيث الإنتاجية لنويات التكاثف، التي تساهم في تكاثف البخار ثم نزوله على هيئة مطر أو جليد.

وتزيد فاعلية النيتروجين السائل في عملية الاستمطار، إذا تم إطلاقه من علو السحابة عبر البذر الجوي بخلاف ما إذا تم إرساله من أسفل السحابة عبر البذر الأرضي.[٣]

من مميزاته:

1- يرى بعض الباحثين [٤] أن استعمال النيتروجين السائل في بذر السحب لباردة ربما يكون أكفأ من أيود الفضة أو الجليد الجاف.

2- قليل التكلفة من حيث التصنيع والتخزين.

3- آمن ولا تعرف له أضرار بيئية.

---

(١) انظر البدائل المطروحة (ص156)

(٢) انظر البدائل المطروحة (ص155)

(٣) انظر: الاستمطار لعلي موسى (ص80)، والاستمطار لأحمد الخليل (ص114)

(٤) من الباحثين الذين اعتمدوا النيتروجين السائل : زيما سكوف زملاؤه في بحثهم المقدم إلى مؤتمر تعديل الطقس في ايطاليا 1994م (يراجع: الاستمطار لأحمد الخليل ص120)

ثانيا: في حالة السحب الدافئة: وهي النوع الثاني من أنواع السحب حسب درجة حرارتها، وهذا النوع من السحب لا تصل درجة حرارة قممها العلوية إلى درجة التجمد. ولهذا فمواد الاستمطار لهذه السحب لاتزال في طور التجارب التي تهدف إلى اكتشاف مادة فعالة لهذا النوع من السحب، ومن الممكن استخدام مواد البذر الخاصة بالسحب الباردة التي ربما تعطي نتائج جيدة، وبخاصة الجليد الجاف وأيود الفضة حسب ما يحدد الخبراء في عملية الاستمطار في نفس المنطقة. (١)

وقد يستخدم ملح الطعام، ليشكل نويات تتكاثف حولها قطرات الماء، عن طريق نثر دقائق الملح في الهواء المتصاعد إلى جرم السحابة علماً بأنه إذا ما تركت السحابة لطبيعتها فإنها قد تلقح بمواد عالقة في الجو كالغبار والرماد البركاني وغبار اللقاح الزهري والملح والدخان ورماد الشهب وغيرها ... ولكن عند استثارتها عبر تقنية الاستمطار تكون تحت تأثير مزدوج اللقاح الطبيعي والصناعي فتكون نسبة هطول المطر أعلى وقوعا وكماً. (٢)

*****

(١) انظر: الاستمطار لعلي موسى(ص 84)، الاستمطار لأحمد الخليل (ص 115)، البدائل المطروحة (ص156)

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص9)، ويراجع: الاستمطار في الاسلام (ص413)، الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري ص84 وما بعدها.

المطلب الثالث: تاريخ الاستمطار.

إن ظاهرة الاستمطار الصناعي رغم أنها من النوازل المعاصرة إلا أن العرب قديما قد استخدموا وسائل مشابهه لها وقت إمساك المطر لإنزاله.

قال أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي[١]: " كانوا إذا استمطروا عمدوا إلى السّلع والعشر فعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيهما النّار، وأصعدوها في جبل وعر وتبعوها يدعون الله عزّ وجلّ يستسقونه."

قال ابن الكلبي: وكانوا يضرمون تفاؤلا للبرق، قال أمية بن أبي الصلت الثقفي[٢] في ذلك:

سنة أزمة تخيل للنّاس ... ترى للعضاة فيها صريرا
لا على كوكب ينوء ولا ري ... ح جنوب ولا ترى طخرورا
ويسوقون باقر السّهل للطّو ... د مها زيل خشية أن تبورا
عاقدين النّيران في تكن الأذ ... ناب منها لكي يهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما ... عايل ما وعالت البيقورا [٣]

وأنشد الشاعر:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر؟![٤]

---

(١) هشام بن محمّد الكلبي، كان حافظًا مؤرخا علامة، توفي سنة (204) (تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ (ص: 260)، الأعلام للزركلي (5/ 230)

(٢) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف، كان أمية يتعبد في الجاهلية، ويؤمن بالبعث، وينشد في أبياته الشعر المليح، وكان مطلعاً على الكتب القديمة وأدرك الإسلام ولم يسلم، أخباره كثيرة. (تهذيب الأسماء واللغات (1/ 126)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (15/ 229، معجم الشعراء العرب (ص: 946)

(٣) الأبيات منسوبة إلي أمية بن أبي الصلت الثقفي في: شرح أدب الكاتب (ص: 276)، عيار الشعر (ص: 60)، الحيوان (4/ 492)

(٤) البيتان منسوبان إلي (الورل الطائي) كما في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 594)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (1/ 594)، لسان العرب (4/ 73)، تاج العروس (10/ 227)، الحيوان (4/ 493)، عيار الشعر (ص: 61)، نثر الدر في المحاضرات (6/ 240)، الأزمنة والأمكنة (ص:

وقال أبو حنيفة: وكانوا إذا فعلوا ذلك توجّهوا بها نحو المغرب من بين الجهات قصدا إلى العين، يعني عين السّماء. وهذا الذي ذكرناه عن العرب من الزّمن تشاركها الأمم في أمثاله كنيرنجات [1] الفرس، ووهم الهند، وعقد الرّوم[2]. [3]

وفي العصر الحديث بدأت فكرة استمطار السحب عن طريقة تلقيحها بالمواد المدرة للمطر منذ بداية القرن العشرين للميلاد، وأول تجربة مسجلة كانت في عام 1931م حين تمكن النيزيلندي (فيرات) من إثارة المطر اصطناعيا لأول مرة في التاريخ المعروف، لكن تجربته لم تحلل ولم توثق بشكل كافي، كما كانت كمية المطر المتساقط ضئيلة.

وفي سنة 1932م أنشأ الاتحاد السوفيتي السابق (معهد الأمطار الصناعية) ويختص هذا المعهد بدراسة آخر الأساليب والتقنيات المستعملة لغرض الاستمطار الصناعي، كما يبحث عن أساليب جديدة وطرق مفيدة في نفس الغرض.

وفي سنة 1943م قام الألماني (فيندسن) بعملية بذر لسحابة مستخدما الرمال كمواد للبذر، إلا أن الرمال لم تكن فعالة في إدرار السحابة.

وتعد البداية الحقيقية للاستمطار الصناعي سنة 1946م، وذلك عندما بدأ العالمان الأمريكيان (شيفر) و(لانغموير) تجاربهما في مختبر الكهرباء المركزي في نيويورك على سحب تحتوي على مياة فوق مبردة وذلك في غرفة مبردة، حيث ألقيت حبيبات من مادة الجليد الجاف وعلى الفور

---

354)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: 580)، الحماسة البصرية (2/ 396)، ويقال: (الودك الطائي) كما في شرح شواهد المغني (1/ 306)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (1/ 125)

ويقال : (الوديك الطائى:) كما في نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 110)

ويقال: (الودّاك الطائى) كما في الأوائل للعسكري (ص: 36)، تاج العروس (21/ 217)

(١) نيرنجات: رقى، سحر، تعزيم. (تكملة المعاجم العربية (10/ 152)

(٢) الأزمنة والأمكنة (ص: 354)

(٣) يراجع: الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص 66)، وما بعدها.

تشكلت سلسلة من البلورات الثلجية على طول مسار هذه الحبيبات، وقد فسر هذه النتيجة: بأن درجة الحرارة المنخفضة جدا للهواء الملامس لسطح الجليد الجاف البالغة-78مئوية قامت بتجميد القطيرات المائية على طول مسار الحبيبات الجلدية الجافة وأسهمت الحرارة المنخفضة بزيادة اشباع الهواء ببخار الماء الذي أسهم بدوره في تجيد سريع للقطيرات، ومن ثم بدأت عملية التساقط.

وقد أجريت تجارب مماثلة فوق استراليا وحققت نجاحا جزئيا وبذلك اقتنع العلماء بأن الطبقات فوق المبردة من السحب بشكل عام وكذلك السحب الركامية يمكن تحويلها بسهولة إلى سحب جليدية ممطرة بإذن الله تعالى. (١)

أما من الناحية العملية فقد جربت على أرض الواقع عام ١٩٥٠م، أما في بريطانيا فقد بدأت تجاربها في هذا المضمار عام ١٩٦٠م إلا أنها لم تكن تجارب حاسمة للاستفادة منها بصورة عملية آنذاك؛ لضعف التقنيات المتوافرة والرادارات، وقلة المعلومات المتوافرة من الأقمار الصناعية في ذلك الوقت، وكانت أكبر تلك التجارب والدراسات في عام1953م، قامت بها جامعة لندن من مطار كرانفيلد.(Cranfield)

وفي العقدين الماضيين بدأت تلك التجارب والدراسات تؤتي نتائج جيدة؛ إذ قامت العديد من الشركات في الولايات المتحدة بتطوير عدد من التقنيات لحث السحب على الاستمطار، وتم بعضها فوق المكسيك وتايلند وأمريكا وروسيا والأرجنيتن والصين، ولم تقتصر تجارب الاستمطار لسحب على الدول الاجنبية فحسب بل تعدى الأمر إلى الدول العربية، فدخلت بعضها في هذا المجال وكانت أغلب تجاربها تستخدم "يوديد الفضة"(٢)

---

(١) الاستمطار لعلي موسى (ص66)، الاستمطار لأحمد خليل (ص109) الاستمطار لمحمد فياض (ص26)

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص9) نقلا عن: Dennis, A.S 1980, Weather modification by cloud seeding .

Academic press, New York.

وقد طبقت تقنية الاستمطار الصناعي في دول مختلفة منها: روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وليبيا والأردن وسوريا والمغرب العربي والإمارات وأخيراً الصين وهي أكبر دولة عاملة في هذا المجال.

وتعد تجربة الاستمطار في المملكة العربية السعودية واحدة من عدة تجارب قامت في دول عربية مختلفة، حيث أجريت لأول مرة عام 1988م في منطقة عسير بينما التجربة الثانية بدأت عام 2006م ولتغطي ثلاث مناطق وسط المملكة (الرياض والقصيم وحائل). (١)

وقد بدأت سوريا منذ عام 1993م في استمطار سحبها، وخلال أعوام (1995-1999م) كانت حصيلة الاستمطار الصناعي بسوريا قرابة السبعة عشر مليار متر مكعب من المياه، ومن المعتقد أن نصف هذا الهاطل المطري كان من سحب مصرية المنشأ، وكان نتاجه أن اجتاحت مصر الرياح الخماسينية الجافة غير الممطرة، والتي تسببت في الكثير من الأزمات لمرضى حساسية الجهاز التنفسي، وغير ذلك من أمراض ومثالب. (٢)

*****

- Hess, W.N., 1974, Weather & Climate modification. John Wiley & sons, New York.
- Al- Fenadi, Y.S., Desription of cloud seeding experiment in north Libya, proceedings of WASTA 4th gulf water conference, February 13-12-1999, State of Bahrain, vol. 1, p. 413-451.
- Benaichata, L., Rain enhancement developments in Algeria, the regional seminar on cloud physics and weather modification Damascus, Syria, 17- 20 October 2003, p.53.

(١) تقنية الاستمطار د. عبدالله المسند بحث منشور عبر شبكة الانترنت:
http://www.ra-ye.com/vb/showthread.php?t=45165

(٢) اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل:
http://www.startimes.com/?t=6686671

المطلب الرابع: فوائد الاستمطار وأضراره

أولا- فوائد الاستمطار:

للاستمطار الصناعي فوائد كثيرة منها ما يلي:

1- مضاعفة كمية المطر بشكل نسبي.

2- يساعد نسبياً على الحد من الجفاف.

3- زيادة الجريان السطحي.

4- زيادة المخزون المائي في السدود.

5- تغذية الخزانات المائية الجوفية.

6- يحسّن الميزانية المائية.

7- الحد من التلوث الجوي.

8- مكافحة التصحر والجفاف. (١)

وقد تبين أن الاتجاه إلى الاستمطار في حوض النيل من الممكن أن يساعد على الحد من الجفاف، كما أن زيادة كمية المطر تعمل على زيادة الجريان السطحي في الأحواض المائية المغذية للمسطحات المائية، وبالتالي زيادة المخزون المائي في السدود. ولا يقتصر الأمر عند ذلك فحسب، بل إن زيادة كمية المطر تغذي أيضاً الأحواض المائية الجوفية. (٢)

9- زيادة زمن الهطول، من خلال البذر المنظم للسحب المستهدفة. (٣)

10- دراسة فيزياء الغيوم وطبيعة تشكيلاتها.

11- دراسة أنواع الغيوم، وأيها أكثر فائدة واستجابة لنثر المحاليل فيها .

---

(١) تقنية الاستمطار د. عبدالله المسند بحث منشور عبر شبكة الانترنت:
http://www.ra-ye.com/vb/showthread.php?t=45165

(٢) اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل:
http://www.startimes.com/?t=6686671

(٣) تقنية الاستمطار د. عبدالله المسند بحث منشور عبر شبكة الانترنت:
http://www.ra-ye.com/vb/showthread.php?t=45165

12- دراسة جدوى محطات الاستمطار الأرضية بشكل منفصل عن غيرها.

13- تنشيط الاقتصاد الزراعي وتوسيع رقعة الأراضي المزروعة.

14- توفير مخزون إضافي للمياه السطحية والجوفية.

15- زيادة مساحات الأراضي الزراعية الجافة على حساب الصحراء، وبالتالي المساعدة في مقاومة التصحر وهذه فوائد مباشرة للأرض والزراعة. (١)

16- تسريع هطول الأمطار من سحب معينة، فوق مناطق بحاجة إليها، بدلا من ذهابها إلى مناطق لا حاجة لها إلى الماء، لظروفها الطبيعية الملائمة للإدرار الطبيعي.

17- زيادة إدرار السحابة عما يمكن أن تدره بشكل طبيعي.(٢)

18- زيادة سماكة السحب، من خلال تغيير الخواص الديناميكية للسحابة المستمطرة، وذلك أن التكاثف أو التجمد يؤدي إلى إطلاق الحرارة إلى زيادة سماكة السحابة بفعل تيارات الحملان الحراري داخل السحابة، وارتفاع قمتها بفعل الحرارة المنطلقة من التكاثف.

19- وأخيراً تستخدم تقنية الاستمطار في بعض دول العالم من أجل كبح جماح الأعاصير والتقليل من حدة موجات البرد والصقيع، وأحياناً من أجل إطفاء حرائق الغابات الكبرى فسبحان من علم الإنسان ما لم يكن يعلم.(٣)

يقول الدكتور/ أحمد حسن البرعي- أستاذ القانون الدولي: "إنه لم يحسم الجدل بعد في قضية الاستمطار، فعلى الرغم من تداول هذه القضية في أكثر من مؤتمر إلا أنه ليست هناك فتوى أو تشريع قضائي يمنع البلاد من إجراء تجارب إنزال المطر فوق أراضيها "؛ نظرا لما يشاع من أن

---

(١) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الكويت عام ١٤٢٣ هـ (ص419)

(٢) الاستمطار، د/علي موسى ص6

(٣) تقنية الاستمطار د. عبدالله المسند بحث منشور عبر شبكة الانترنت :
http://www.ra-ye.com/vb/showthread.php?t=45165

الدلائل تشير الآن إلى خطر محقق يتمثل في ندرة المياه بجميع أنواعها، فهل يمكن أن تلجأ الدول إلى الاستمطار لتحمي نفسها خطر الجفاف؟... (١)

ثانياً- أضرار الاستمطار:

المشاكل والأضرار في حالة الاستخدام السيء لهذه التقنية.

وهذه المضار يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1- إن العوامل التي يجب أن تتوفر في سبيل القيام بهذه التقنية ما زالت مكلفة ماديا.

2- إن التكنولوجيا ما زالت غير متطورة تماماً، وهذا مما يجعل النتائج غير مضمونة.

3- الصعوبات في تقييم النتائج، حيث يتطلب جمع معلومات موثوق بها وقتاً طويلا(خمس سنوات على الأقل)، فضلا عن وجود صعوبات أخرى متمثلة في اختلاف التضاريس بين منطقة وأخرى أو تعيين الفترة الزمنية للقيام بالتجربة. (٢)

4- المشكلات السياسية (الحقيقية والتخمينية) فبعض البلدان قد تطلب المطر أكثر من غيرها، وقد تتهم بعض الدول التي تجري مثل هذه العمليات باختلاس الموارد الطبيعية من الرطوبة الجوية. (٣)

5- مازال التعقيد الشديد يلتبس بآلية تخلق المطر وكيفية دخول أكثر من عامل مؤثر فيها، لذا فإن القائمين بهذه العملية لا يستطيعون تحديد

---

(١) اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل، http://www.startimes.com/?t=6686671

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص 11) نقلا عن:

Al-Fenadi, Y.S. Description of cloud seeding experiment in north Libya, proceedings of WASTA 4th gulf water conference, February 13- 17-1999, State of Bahrain, vol. 1, pp. 413-451.

- Benaichata, L., Rain enhancement developments in Algeria, the regional seminer on cloud physics and weather

(٣) استمطار السحب، د. عبدالله السحيباني (ص 5) نقلا عن تلوث البيئة د. شفيق يونس (ص32، 33)

الزمان والمكان الدقيق لهطول المطر، فقد يتم بذر السحب فوق منطقة ويكون احتمال سقوط المطر على مناطق قريبة منها احتمالاً وارداً، كما أن المطر بعد العملية قد يتحول إلى حبيبات ثلج – وخاصة إذا وجد طبقات باردة أثناء نزوله – فلا يمكن الانتفاع به آنذاك، فتنتفي فائدة عملية الاستمطار.

6- يذكر بعض علماء البيئة من الباحثين في علم الاستمطار أنه من خلال التجارب التي أجريت في مجال زيادة الأمطار فإن النتائج كانت أغلبها سلبية، واخفقت العديد من المشاريع خاصة مشاريع بذر السحب، بحيث لم تحقق الهدف الذي تبتغيه، بل كانت النتيجة معاكسة، وهي حدوث تناقص في الهطول، وكانت نسبة التناقص في العديد من المشاريع تفوق نسبة الزيادة المعتادة والمتوقعة قبل انجاز المشروع، والسبب في انخفاض نسبة الهطول المطري عن الطبيعي يمكن ارجاعه إلى الاسباب الآتية:

أ - البذر المفرط بنوى التجمد الاصطناعية مما يعمل على احداث تجمد في كامل الاجزاء العليا من السحابة الشديدة البرودة، وهذا مما يعيق أو يلغي عمليات النمو التراكمي.

ب- قلة كمية مادة البذر المستخدمة، وضعف التخطيط والبرمجة الإحصائية.

ج- الظروف الجوية، وطريقة وموقع مكان البذر.[1]

7- تعد بعض المواد المستخدمة في بذر السحب مثل (أيود الفضة) من المواد الخطرة بحسب تصنيفات المنظمات العالمية، فمكتب البيئة والصحة والسلامة بجامعة (بيركلي – كاليفورنيا) يصنف هذه المادة بأنها مادة كيمياوية غير عضوية خطرة، لا تذوب في الماء، وسامّة للإنسان، كما أنه ثبت علميا أنها تدخل إلى جسم الإنسان عن طريق الجهاز التنفسي أو عن طريق امتصاص الجلد وتصيبه بأمراض مختلفة وتأثير هذه المادة

---

(١) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص12) نقلا عن: -

William R. Cotton, Colorado State University, Department of Atmosphirce, fort Collins, Co 80523, Weather modification by cloud seeding- Astatus Report 1989-1997.

تأثير تراكمي لا يظهر مباشرة إلا بعد فترة طويلة، وبما أن التجارب مستمرة فالتخوف من تزايد تراكم السموم في الجسم شيء وارد. (١)

وقد قسم الدكتور ياسين الغادي أضرار الاستمطار إلى أقسام فقال: "

يمكن أن نتوقع النتائج والأضرار السلبية التالية في حالة الاستخدام السيئ للاستمطار، وكلها متوقعة:

أ – أضرار عامة للبيئة كلها أو بعضها من تلويث للأرض والجو والإنسان والحيوان، وقد تكون آثار التلويث آنية مباشرة عقب التجربة، أو تكون بعد أعوام وسنين من التجارب العلمية التي أجريت.

ب – أضرار خاصة على الأرض التي أجريت فيها التجارب، أو الجو الذي تعاملت فيه طائرات الاستمطار، أو أشخاص الطيارين أنفسهم الذين تعاملوا مع السحب بروح من عدم المسؤولية واللامبالاة، فكانوا هم الضحايا.

ج – أضرار اقتصادية ومالية بما كلفت تجارب المستمطرين من أموال وأيدي عاملة وغيرها.

د – أضرار نفسية بما تخلفه تجارب الطيارين من مؤشرات وعلامات تدل على العجز البين الواضح في الأساليب والتقنيات المستخدمة في مواكبة الدول الصناعية والمتقدمة.

هـ - شح الموارد ولا سيما المائية منها في حالة فشل تجارب الاستمطار أو الاستخدام السيئ له، مما يزيد في ضعف الإنتاج، وقلة الوفرة الزراعية، وزيادة مساحة الأراضي الصحراوية غير القابلة للزراعة.

خلاصة القول: أن استخدام البعض للاستمطار بصورة سيئة قد يؤدي إلى إرباك الناس وإيقاعهم في مآزق الجفاف والقحط والمحل بسبب لجوئهم إلى طرق فاسدة للاستمطار، مما قد يزيد في قحولة الأرض،

---

(١) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص12) نقلا عن:

Klien, D.A., 1978: Enviromental Impacts of Arthficial Ice Nucleeting Agents. Dowden, Hutchinson & Ross, Inc. Stronsburg. Pennsylvania.

وإهلاك الزرع والضرع، من أرض وحيوانات، فضلاً أن الاستمطار السيئ قد يرهق الدولة من جميع الوجوه، ويحملها أعباء مالية، ويستهلك قدراتها الإنتاجية، فضلاً عن الأضرار البيئية الملوثة للجو والأرض مما لا يكون في المقدور التنبؤ عنه بحق الأرض والإنسان والحيوان.(١)

وفي دراسات حديثة أخرى في نفس الموضوع إشارت إلى عدم وجود أي ضرر يذكر على البيئة، وذلك عن طريق استخدامها المحاليل التي يتم رشها في السحب – من خلال نسبة تركيزها – كمثال أن تركيز يوديد الفضة المستخدم في تجربة الاستمطار ما هو إلا بمقدار (٠.١) مايكروجرام في اللتر الواحد 0(micrograms per liter، 1) في حين أن النسبة المقبولة والتي اعتمدتها منظمة الصحة العالمية هي (٥٠) مايكروجرام في اللتر الواحد50 micrograms per liter)) وبهذه النسبة يتضح أن هذه النسبة المستخدمة ليس لها أثر يذكر في البيئة أو لها ضرر يؤثر على الانسان أو الحيوان.(٢)

يقول د. حسين زهدي - رئيس هيئة الأرصاد الجوية السابق في مصر:" إن عملية الاستمطار ما زالت مجرد مشاريع، وأبحاث غير مؤكدة، ولا يستطيع العلماء أن يقيموا النتائج عليها، ويثبتوا أن المطر قد زاد بالفعل نتيجة لتدخل الإنسان.

ويستند د. زهدي في صحة رأيه على تقرير للمنظمة العالمية للأرصاد الجوية التي رفضت مشروع الاستمطار لعدم جدواه، وحذرت الدول الفقيرة من الاندفاع وراء هذا الكلام؛ لأنه ينطوي على نوع من الاستغلال من قبل الدول الغنية، فالدول الغنية تسعى إلى فتح أسواق تبيع فيها وسائل التكنولوجيا المتعلقة بهذا الموضوع، وتحقيق أعلى مكاسب مادية ممكنة، على أكتاف الدول الفقيرة. وقد أخذت المنظمة هذا الموقف بعد الأبحاث والدراسات التي أجرتها في فترة السبعينيات فوق أسبانيا، ومناطق أخرى من العالم، واكتشفت من خلالها عدم جدوى هذه التجارب.(٣)

---

(١) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الكويت عام ١٤٢٣ هـ (ص430، 431) .

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص13) نقلا عن:

- R.L. Younger & H.R. Crook shank, 1977, Veterinary Toxicology & Entomology Research Laboratory, U.S. Department of Agriculture, Agricultural Research Service, P.O. Drawer GE, 77840 College Station TX, USA. ٤٦٤

(٣) اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل: http://www.startimes.com/?t=6686671

الاستمطار الصناعي بين الحظر والإباحة

*****

المبحث الثاني: الحكم الشرعي للاستمطار الصناعي.

تحرير النزاع:

أجمع العلماء على أن الاستسقاء سنة [١]، وقد نقل النووي هذا الإجماع[٢]، ولكنهم اختلفوا في حكم الاستمطار الصناعي.

فقد انقسم الفقهاء المعاصرين في حكم الاستمطار الصناعي إلى قسمين، بين قائل بالحظر وقائل بالإباحة، وقد تمثل هذا الخلاف في رأيين:

الرأي الأول: يرى أن عملية الاستمطار الصناعي عملية محظورة ومحرمة شرعا، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض الفقهاء المعاصرين.[٣]

---

(١) البناية شرح الهداية (3/ 150)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (1/ 512)، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (2/ 94)، التلقين في الفقة المالكي (1/ 54)، البيان في مذهب الإمام الشافعي (2/ 674)، المجموع شرح المهذب (5/ 63)، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (1/ 100)، الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: 167)، المبدع في شرح المقنع (2/ 203)، كشاف القناع عن متن الإقناع (2/ 66)، المغني لابن قدامة (2/ 319)، المحلى بالآثار (3/ 309)، الدرر البهية والروضة الندية والتعليقات الرضية (1/ 44) الروضة الندية شرح الدرر البهية ط المعرفة (1/ 158)، مفتاح الكرامة (155/9)، رياض المسائل (12/4)، جواهر الكلام (127/12)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام أبا حنيفة يرى أن المسنون الدعاء وليس في الاستسقاء صلاة مسنونة، جاء في البناية شرح الهداية (3/ 151) "قال أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة في جماعة....، وإنما الاستسقاء والدعاء والاستغفار."

وفي تحفة الفقهاء (1/ 185) "ذكر في ظاهر الرواية أنه لا صلاة في الاستسقاء وإنما فيه الدعاء وعن أبي يوسف أنه قال سألت أبا حنيفة عن الاستسقاء هل فيه صلاة أو دعاء مؤقت أو خطبة فقال أما صلاة جماعة فلا ولكن الدعاء والاستغفار. "،

وفي بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (1/ 282) "فظاهر الرواية عن أبي حنيفة أنه قال: "لا صلاة في الاستسقاء، وإنما فيه الدعاء "

(٢) قال النووي في شرح مسلم(6/ 187) أجمع العلماء على أن الاستسقاء سنة واختلفوا هل تسن له صلاة أم لا ؟ فقال أبو حنيفة: لا تسن له صلاة بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف الصحابة والتابعون فمن بعدهم تسن الصلاة ولم يخالف فيه إلا أبو حنيفة."

(٣) منهم: الدكتور/ خالد بن مفلح آل حامد - الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن في المعهد العالي، في بحث بعنوان الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، يراجع: النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض

الرأي الثاني: يرى أن عملية الاستمطار الصناعي عملية مباحة وجائزة شرعا، وقد ذهب إلى هذا الرأي الكثير من العلماء المعاصرين [١]

اليومية، (اقتصاديات البيئة) 15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع : http://www.alriyadh.com/359356

والدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة، في بحثه استنزال المطر من السحب ومدى جوازه، بحث منشور على الإنترنت:
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=5053

والدكتور/ أحمد بن محمد العمودي - رئيس مكتب الدعوة وتوعية الجاليات وعضو المجلس البلدي في بلجرشي: http://www.dahran.net/dahran/articles.php?action=show&id=300

والدكتور/ علي بن فهد أبابطين، عضو هيئة التدريس بالكلية التقنية ببريدة، 30 / 1 / 1428هـ، مقال منشور على موقع: شبكة الرد الإلكترونية http://alradnet.com/

(١) منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، الشيخ صالح الفوزان، الشيخ بكر أبو زيد. في "فتاوى اللجنة الدائمة " المجموعة الثانية (241/1) .مسجلة، والشيخ محمد رشيد رضا في فتوى نقلها عنه الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشايع بحثه استمطار السحب حقيقته وحُكمه (ص5)، حيث قال: " وممن أفتى بجواز عملية الاستمطار الشيخ العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله منذ أكثر من ثلاثين عامًا. " الشيخ عبد المجيد الزنداني، في كتابه توحيد الخالق (ص/223)، والشيخ عطية صقر من كبار علماء الأزهر في فتوى بتاريخ 2006/04/14 وهي منشورة على شبكة الإنترنت:
http://www.islamonline.net/servlet/S...AAskTheScholar

وممن بحث هذه المسألة وتوصل إلى جواز الاستمطار د. ياسين الغادي في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت عام 2000م في العدد 40، و د. عبد الله السحيباني في بحثه استمطار السحب (ص 4)، د. هيفاء الزبيدي في بحثها الاستمطار الصناعي للسحب وفق منظور الشرع (ص 5) للسحب وفق المنظور الشرعي(ص 28)، والشيخ خالد بن عبدالرحمن الشايع في بحثه استمطار السحب... حقيقته وحُكمه، ود. ملفي الشهري في كتابه الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية ص104، وهو ما أفتت به دار الإفتاء الأردنية بتاريخ 02-08-2012، رقم الفتوى : 2573يراجع نص الفتوى على الرابط التالي:
http://aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=2573#.V2XVF9R95kh

ومركز الفتوى، موقع إسلام ويب : يراجع نص الفتوى على الرابط التالي:

لكن الأخذ به أو عدمه متروك لأهل الاختصاص في الدولة التي تحتاج إلى مشاريع للاستمطار.

أدلة الرأيين:

أدلة الرأي الأول القائل بالحظر والتحريم.

استدل أصحاب هذا الرأي على حرمة الاستمطار الصناعي بالكتاب، والسنة، والمعقول:

أولا- الكتاب:

استدلوا على حرمة الاستمطار بالآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[1]

وجه الدلالة:

بينت الآيات الكريمة أن الماء أصل الحياة، وعنصرها الذي لا تنشأ إلا به كما قدر الله. فالذي أنشأه من عناصره، وأنزله من سحائبه هو الله سبحانه. وهو الذي قدر أن يكون عن﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ أي

---

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&lang=A&Id=60048

وهذه فتوى للشيخ سليمان الماجد، فتوى رقم : 10546، يراجع نص الفتوى على الرابط التالي:

(http://www.salmajed.com/fatwa/findnum.php?arno=10546)

د. خالد المصلح يراجع نص الفتوى على الرابط التالي:

http://www.almisnid.com/almisnid/madmin/upload/ff36a02c3ea31594c2505710ecfcc93f.jpeg

سعد بن تركي الخثلان العضو المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، في بحثه: الاستمطار الصناعي جائز شرعا يراجع شبكة الإعلام:

http://www.moheet.com

(١) سورة الواقعة، الآيتان 69، ٧٠

مالحا لا يستساغ، ولا ينشئ حياة، فهلا يشكرون فضل الله الذي أجرى مشيئته بما كان؟[١]

فالله سبحانه يسأل أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن ننزله متى نشاء أنّى نشاء كما نشاء على من نشاء وعلى ما نشاء؟ ونحن الذين نجعله مختلفا في الوقت وفي المقدار وفي الكيفية، في القلّة وفي الكثرة. ولو نشاء لجعلناه ملحا.. أفلا تشكرون عظيم نعمة الله- سبحانه- عليكم في تمكينكم من الانتفاع بهذه الأشياء التي خلقها لكم.[٢]

قال الطبري رحمه الله :" يقول تعالى: أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن المنزلون"[٣]، وقال ابن سعدي رحمه الله: " أي ولولا أن الله يسره وسهله لما كان لكم إليه سبيل، وأنه هو الذي أنزله من المزن وهو السحاب "[٤]

وقال السمرقندي في بيان المقصود بهذه الآية: " بل نحن المنزلون عليكم "[٥].

فقد بينت الآيات أن أمر إنزال المطر بيد الله وحده، وهو الذي جعله عذبا سائغا للشاربين ولم يجعله ملحا أجاجا، وعلى ذلك إذا ما تحقق إنزال المطر عن طريق الاستمطار كان بيد البشر إمكانية إنزال المطر، وهو أمر محال.

2- قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٦]

وجه الدلالة من الآية: دلت الآية على اختصاص علم تنزيل الغيث به سبحانه ظاهر لظهور أن المراد بعنده تنزيل الغيث عنده علم تنزيله، فلا

---

(١) في ظلال القرآن (6/ 3469) بتصرف.
(٢) لطائف الإشارات للقشيري (3/ 524)
(٣) جامع البيان للطبري(23/ 142)
(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 835) .
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (3/ 396)، ويراجع: تفسير ابن كثير (7/ 541) .
(٦) سورة لقمان، الآية٣٤

يدري أحد من الناس متى وينزل الغيث، ليلا أم نهارا، فهو وحده يعلم نزوله في زمانه، ومكانه، فهو منزله فيما يشاء من زمان ومكان. [١]

وعلى ذلك فظاهرة الاستمطار ما هي إلاّ مجرد اعتداء على أصل خلقة المطر وتطاول على من عنده علم الساعة ومنزل الغيث، فالله وحده المنفرد بإنزال المطر، وهو وحده من يعلم وقت سقوطه وإنزاله، وأنه مقدّر من عنده سبحانه، وليس للناس فيه أدنى عمل أو تصرف. [٢] قال ابن كثير: "هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه بها.. إلى أن قال: وإنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، فإذا أمر الله به علمته الملائكة الموكلون به"[٣]. وقال الشيخ السعدي عند تفسير الآية: "أي هو المنفرد بإنزاله". [٤]

3- قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾[٥]

وجه الدلالة: دلت هذه الآية على أن الله ينشئ الرياح سحابا، فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، ويجعل السحاب قطعا متفرقة. ثم ترى الودق- أي المطر يخرج من بين السحاب، فإذا صرف ذلك الودق إلى

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي (3/ 448)، تفسير العز بن عبد السلام (2/ 545)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 401)، روح المعاني للألوسي(11/ 107)

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص16)

(٣) تفسير ابن كثير (6/ 352)

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 653)

(٥) سورة الروم، الآيتان 48، ٤٩

أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون؛ بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون.[١]

كل ذلك بفعل الله وقدرته ولا مدخل لقدرة الإنسان فيه، فلا يسعهم فعله ولا تقوى عليه قدرتهم، فالقول بجواز الاستمطار إعطاء قدرة الخالق للمخلوق، وهو محال.

5- قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[٢]

6- قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾[٣]

وجه الدلالة من الآيتين: دلت هاتان الآيتان على أن الله - جل ثناؤه - نزل من الأمطار من السماء بقدر، أي بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا، حيا للأرض الميتة محييا.[٤]

قال الكرماني: "(بِقَدَرٍ) صفة للماء، أي بقدر معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وعن ابن مسعود، ليست سَنَةٌ بأمطرَ من سَنة، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، وقيل: (بِقَدَرٍ) أي ما يكفيهم لشربهم وزرعهم".[٥]

وعلى ذلك لا يستطيع الإنسان بصفاته البشرية أن يرقي إلي صفات الذات الإلهية وحكمته تعالى في أمر تصريف المطر وتوزيعه بقدر بلا زيادة أو نقصان والقول بجواز الاستمطار ينافي ذلك، ويجعل لله ندا أو مثيلا، تعالى الله عما يصفون.

---

(١) جامع البيان (20/ 115، 114)، ويراجع: بحر العلوم (3/ 17)، اللباب في علوم الكتاب (15/ 423)

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١١

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٨

(٤) جامع البيان (21/ 572)، ويراجع: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (8/ 329)

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (2/ 773)

7- قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1]

وجه الدلالة من الآيتين: دلت هاتان الآيتان على أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، ولا ينقصه ولا يزيده، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء، يُمْطَرُ قومٌ ويُحْرَمُ آخرون. [2]

8- قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[3]

وجه الدلالة من الآية: دلت هاتان الآيتان على أنّ الله - عز وجل - أمرهم بالاستغفار ليرسل عليهم المطر مدرارا، أي: متتابعا مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة[4]، فالاستغفار قرع أبواب النعمة، فمن وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار [5]، ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء. [6]

قال البغوي: "وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم

---

(١) سورة الحجر، الآيتان 21، 22
(٢) التفسير الوسيط للواحدي (3/ 42)، ويراجع: تفسير السمعاني (3/ 134)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 529)
(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٠، 11
(٤) تفسير السمعاني (6/ 56)، تفسير البغوي (2/ 453)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (5/ 249)
(٥) لطائف الإشارات (3/ 636)
(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 249)

ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا." [١]

فهذه الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها تدل على أن ما أرشد الله إليه عند حبس المطر وتأخر النعم هو الاستغفار وحده ولا شيء معه أو غيره، فلا حاجة إذا للاستمطار واستنزال المطر بالطرق العلمية، وتكفي السبل الربانية بالاستغفار والدعاء والتضرع وصدق اللجوء إلى الله تعالى.

فخلاصة الاستدلال بجميع الآيات السابقة: أن إنزال المطر من أفعال الله تعالى وقد اختص الله تعالى بإنزال المطر بجميع أطواره، والله تعالى هو المنفرد بإنزال المطر، وهو الذي يعلم وقت نزوله ومكانه، ومقداره إذا نزل، ولا يستطيع الإنسان بطاقته البشرية القاصرة أن يضاهي قدرة الله تعالى في إنزال المطر بما يدعي من طرق علمية، فلا مدخل لأي مخلوق في إنزال المطر.

ويمكن مناقشة الاستدلال بهذه الآيات من وجوه:

الوجه الأول: أن إجراء عملية الاستمطار الصناعي وإن كانت بيد البشر إلا أنها لا تخرج عن إرادة الله الذي بيده ملكوت كل شيء وأنه مسبب الأسباب، وحتى بعد بذر السحب والغيوم والأخذ بجميع الأسباب البشرية يبقى أمر إنزال المطر موقوف على إرادة الله، فقد يتحقق وقد لا يتحقق، فعلم من ذلك أن أمر الاستمطار بيد الله وحده ولا مدخل للبشر فيه.

الوجه الثاني: أن إنزال الغيث من السماء نوع من أفعال الله تعالى التي اختص بها جميعا، وهو كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وهذه أفعال وإن كانت تنسب إلى الله تعالى، فهي مسببة بأسبابها، والله تعالى خالق الأسباب والمسببات، قال ابن تيمية: "إن خلق الله سبحانه للسحاب، بما فيه من المطر من هذا البحر وبخار الأرض، كخلقه للحيوان والنبات والمعدن من هذه الأمور". [٢]

---

(١) تفسير البغوي (5/ 156)، ويراجع: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/ 44)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (4/ 617)

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم (2/ 216)، قاعدة في المحبة (ص: 30)

واختصاص الله بالشيء لا يدل على تعطيل اتخاذ الأسباب في طلبه، وقد جاء في كتاب الله من أفعال الله التي اختص الله بها وأمرنا باتخاذ الأسباب فيها، ومنها:

النصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[1] وأمر الله باتخاذ أسبابه ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[2] وغير ذلك كالنكاح في طلب الولد، والحرث في طلب الزرع، والجهاد، مع أن الله تعالى هو الخالق ولو شاء لخلق الولد بدون نكاح كعيسى - عليه السلام - ولو شاء لأهلك الأعداء بلا جهاد. [3]

الوجه الثالث: أنه لا يصح أن القول بأن إنزال المطر لا دخل فيه لأي مخلوق لأن الرياح التي تسوق السحاب نوع من مخلوقات الله، وسبب من أسباب المطر، وكذلك السحب نفسها مخلوق من مخلوقات الله، وكذلك ما يسخره الله ممن يشاء من خلقه من الملائكة وغيرهم هم من مخلوقات الله، وأفعالهم مخلوقة لله، ولا يجوز أن نقول: إن إثبات الأسباب يبطل نسبتها إلى خالقها وهو الله عز وجل، وهذا القول يشبه نفي نسبة المسببات إلى أسبابها، وأن ذلك نوع من الإشراك في ربوبية الله عز وجل وهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأسباب. [4]

الوجه الرابع: إن إنزال المطر من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وحده، ولا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: 126، وسورة الأنفال، من الآية: 10

(٢) سورة محمد، من الآية: 7

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (6/ 49) بتصرف، ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة (ص: 122) بتصرف.

(٤) النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو2008م - العدد 14631 (الدكتور خالد بن مفلح آل حامد: الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان- بتصرف). على موقع :

http://www.alriyadh.com/359356

الوجه الخامس: إن كل ما يفعله العالم المجرب والمكتشف للمطر الصناعي هو فقط تجارب على عوالم موجودة ومثبوتة في ملكوت الله - عز وجل - الواسع، وليس إحداث شيء من العدم، والتجارب إما أن تؤول إلى نجاح أو إلى فشل، فإذا نجحت فذلك شيء علمه الله لمن شاء من خلقه، وإذا فشلت فشيء حجبه الله عمن شاء من خلقه [١]، وفي هذا يقول ابن كثير: "وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر الله به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء من خلقه "[٢]، وبمثل المعنى نفسه، يقول ابن عباس: إن بخار الماء لفي نقرة إبهامه[٣] (يقصد ملك الرعد الذي يسوق السحاب والموكل به بحيث يصرفه حيث يؤمر)[٤]. [٥]

ثانيا- السنة:

استدل أصحاب هذا الرأي على حرمة الاستمطار الصناعي بالأحاديث التالية:

1- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» [٦]

---

(١) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي(ص403)

(٢) تفسير ابن كثير (6/ 352)

(٣) هكذا ذكره القرطبي في تفسيره (9/ 296)، وفي رواية: (وإن بحور الماء في نقرة إبهامه) ينظر: تفسير البغوي (4/ 304)، لباب التأويل (3/ 9)

(٤) تفسير القرطبي (9/ 296)

(٥) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي(ص403)

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 33)، حديث رقم: 1038، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 82] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شُكْرَكُمْ»، (5/ 121) حديث رقم:4147، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ، ومسلم في صحيحه (1/ 83)، حديث رقم:125، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ، وأخرجه غيرهما.

وجه الدلالة من الحديث: صرح رسول الله ﷺ في هذا الحديث بأن من نسب نعمة الله كنسبة المطر إلى الأنواء وأشباه ذلك إلى غيره فقد كَفَرَ كُفْر جحود النعمة لا جحود الحق، بمعنى أنه نسب نعمة الله إلى غيره فكأنه جحده فيكون كفراً دون كفر فإن جحود الحق يخرجه من الإسلام وهذا لا يخرجه.(١)

قال ابن عثيمين : "أما من نسب المطر إلى الله، ولم ينسبه إلى الكوكب، ولم ير له تأثيرا في نزوله، بل نزل بفضل الله فهو مؤمن " وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا "، الباء للسببية "فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب". وصار كافرا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سببا؛ فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله، وهذا الكفر لا يخرج من الملة؛ لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل.

لأنه قال: "مطرنا بنوء كذا"، ولم يقل: أنزل علينا المطر نوء كذا؛ لأنه لو قال ذلك؛ لكان نسبة المطر إلى النوء نسبة إيجاد(٢)، فعلم أن المراد: أن

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: 344، 345)، الكشف المبدي (ص: 336)

(٢) نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

2- نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

3- نسبة وقت، وهذه جائزة، بأن يريد بقوله: مطرنا بنوء كذا؛ أي: جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته.

ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن الباء للسببية، وفي للظرفية، ومن ثم قال أهل العلم: إنه إذا قال: مطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية فهذا جائز، وهذا وإن كان له وجه من حيث المعنى، لكن لا وجه له من حيث اللفظ؛ لأن لفظ الحديث: " من قال: مطرنا بنوء كذا "، والباء للسببية أظهر منها للظرفية، وهي وإن جاءت للظرفية، كما في قوله تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}، [الصافات: 137-138]، لكن كونها للسببية أظهر، والعكس بالعكس؛ ف "في" للظرفية أظهر منها

من أقر بأن الذي خلق المطر وأنزله هو الله، لكن النوء هو السبب، فهو كافر، وعليه يكون من باب الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة". [١]

ويقول الإمام الشافعي معلقا على هذا الحديث : "مطرنا بفضل الله ورحمته" فذلك إيمان بالله لا يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله -عز وجل-، وأما من قال: "مطرنا بنوء كذا " على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ولا يمطر ولا يصنع شيئًا، فأما من قال: "مطرنا بنوء كذا " على معنى مطرنا في وقت نوء كذا؛ فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا، فلا يكون هذا كفرًا، وغيره من الكلام أحب إلى منه، أحب أن يقول: مطرنا في وقت كذا. [٢]

والقول بجواز الاستمطار الصناعي يشبه الاستمطار بالنوء فكان ممنوعا.

ويمكن مناقشة الاستدلال بهذا الحديث: بأن من يجيزون الاستمطار لا ينسبون نزول المطر إلى أنفسهم كمن يستمطرون بالنوء، بل النسبة كل النسبة إلى الله عز وجل، بل إن ما يقومون به هو مجرد أخذ بالأسباب، كمن يستسقي بالتضرع والاستغفار والدعاء آخذا بالأسباب تاركا النتائج وإنزال الغيث إلى الله عز وجل، فكذلك من يقومون بالاستمطار يأخذون بكل الأسباب العلمية ويتركون النتائج لرب العالمين، فقد يسقط المطر وقد لا يسقط، فهم ينسبون العملية بمجملها لله تعالى، فعلم بذلك أن أمر إنزال المطر الصناعي بيد الله وحده، لا شريك له في ذلك.

للسببية وإن جاءت للسببية؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: " دخلت امرأة النار في هرة ".القول المفيد على كتاب التوحيد (2/ 31)

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (2/ 30)

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي (2/ 346)

وقد بين الإمام مالك المحذور في ذلك والجائز فقال : "ما يجوز للقائل أن يقول لما جرت به العادة مثل ما جرت به العادة في كثير من البلاد بأن يمطروا بالريح الغربية، وفي بلاد بالريح الشرقية، فيستبشر منتظر المطر إذا رأى الريح التي جرت عادة ذلك البلد أن يمطروا بها مع اعتقاده أن الريح لا تأثير لها في ذلك ولا فعل ولا سبب، وإنما الله تعالى هو المنزل للغيث، وقد أجرى العادات بإنزاله عند أحوال يريها عباده ولو جرت العادة بنزول المطر عند نوء من الأنواء فاستبشر أحد لنزوله عند ذلك النوء، على معنى أن العادة جارية به، وأن ذلك النوء لا تأثير له في نزول المطر، ولا هو فاعل له، ولا أثر له فيه، وأن المنفرد بإنزاله هو الله تعالى لما كفر بذلك، بل يعتقد الحق، وإنما كفر من قال: مطرنا بنوء كذا لإضافة المطر إلى النوء واعتقاده أن له فيه تأثيرا أو فعلا."(١)

2- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلا، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.(٢)

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (1/ 335)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 28)، حديث رقم:1014، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، ومسلم في صحيحه (2/ 612)، حديث رقم:(897)، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، وأخرجه غيرهما.

وجه الدلالة من الحديث: دَلَّ هذا الحديث دلالة صريحة على أن الوسيلة المشروعة عند الحاجة إلى المطر هي الاستغفار والدعاء وطلب السقيا من الله تعالى بالتضرع إليه، وهو ما فعله النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، مما كان له عجيب الأثر في سرعة إنزال المطر حالا، واستمراره سبعة أيام متوالية من غير تقدم سحاب، ولا قزع، ولا سبب آخر لا ظاهر ولا باطن، وهذا معنى قوله: (وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ). وفي رواية: (من دار)، أي: نحن مشاهدون له من السماء، وليس هناك سبب للمطر أصلا، وشبه السحابة بالترس؛ لكثافتها واستدارتها. (١)

فعلم من هذا الحديث أن بالاستغفار والدعاء والصلاة وحسن التوكل على الله وصدق التضرع واللجوء إليه يتحقق حصول المطر، ولا حاجة للاستمطار الصناعي ولا إلى غيره.

ويمكن مناقشة هذا الاستدلال: بأن تقنية الاستمطار الصناعي تقنية حديثة، وهي لا تتنافى مع الدعاء والتوكل على الله، فكما أن الدعاء والاستغفار أخذ بالأسباب مع التوكل على الله فكذلك الاستمطار أخذ بالأسباب الحديثة مع التوكل على الله وارتباط الأمور بمشيئته وإرادته.

وهذا ما قرر علماء العقيدة في نصوص كثيرة، منها:

يقول الغنيمان: " إن اعتماد القلب لا يجوز أن يكون على المخلوق، ويجب أن يكون على الله وحده، سواء كان الذي يرجى حصوله أمراً عادياً أو كان أمراً عظيماً، فيجب أن يكون اعتماد القلب على الله وحده.

فإذا اعتمد قلب العبد على ربه جل وعلا فقد توكل عليه، وعليه أن يفعل السبب كما في هذه الآية، فإن الله أمرهم بالدخول على الجبابرة، والدخول معناه: الاستعداد بأخذ القوة والعدة والتأهب، وهذا هو فعل السبب، ثم يتوكلون في هزيمتهم وحصول النصر لهم على الله، لا على أسبابهم وقوتهم، وهكذا فجميع ما يفعله العبد يجب أن يكون بهذه الصفة،

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (8/ 245)، شرح النووي على مسلم (6/ 192)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (7/ 42)

وإذا كان على هذه الصفة يكون موحداً لله جل وعلا، ويكون فاعلاً ما أمره الله جل وعلا به، وهذا من واجبات التوحيد." [١]

ويقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي: "وليس معنى التوكل -كما يفهمه البعض- ترك الأسباب وعدم مباشرتها، بل ذلك لا ينافيه ولا يبطله إذ الأخذ بالأسباب مطلوب شرعاً وعقلاً، والعمل بها دليل على صحة التوكل وفهم حقيقته." [٢]

ويقول الشيخ على جامي: "صاحب الإيمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده، ويبذل معه في الأخذ بالأسباب ولا يعجز ولا يتواكل ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاتها."[٣]

ويقول الشيخ عبداللطيف المنياوي : "إن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعا، ولا ينافي التوكل على الله جل وعلا، وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة، أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعا لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالا لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف." [٤]

ويقول الشيخ تامر متولي: " والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، كما يظهر - بادئ الرأي - بل إن التوكل من أقوى الأسباب لحصول المتوكل فيه، كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (90/ 4، بترقيم الشاملة آليا)
(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص:90)
(٣) العقل والنقل عند ابن رشد (ص: 103)
(٤) الجموع البهية للعقيدة السلفية (2/ 712)

فيربط الشيخ رشيد بين التوكل والأخذ بالأسباب، ولا يرى تعارضا بين الأمرين لأنه كما يقول: "فالتوكل محله القلب، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح... ". ويقول الشيخ رشيد: "... وإن من شروط التوكل الصحيح في الأمر القيام بكل ما أوجبه الله تعالى فيه من الأحكام الشرعية ومراعاة ما اقتضته حكمته فيه من الأسباب والسنن الكونية والاجتماعية. فمن يترك العمل بالأسباب فهو جاهل مغرور، لا متوكل منصور ولا مأجور... "، والأخذ بالأسباب هو هدي القرآن وسنة الأنبياء."[١]

3-عن عَائِشَةُ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢] وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ أيضا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».[٣]

وجه الدلالة من الحديث بروايتيه: هذا حديث جليل، وأصل عظيم في الشريعة، وقاعدة من قواعد الإسلام العظمى، فقد أبان أن كل أمر ليس من شرع الله تعالى وكل عمل لا يقوم على أمر الله مردود باطل لا يعتد به ولا بما يترتب عليه، فهذا من جوامع كلمِهِ ﷺ، فجعله مقياساً لجميع الأمور والأعمال، فما كان منها على مراد الله وشرعه فهي المقبولة، وما كان على غيرِ أمره ولا شرعه فهي المردودة.[٤]

قال العظيم آبادي: "وهذا تصريح بإبطال كل عمل على خلاف أمره ورده وعدم اعتباره في حكمه المقبول، ومعلوم أن المردود هو الباطل

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: 484)

(٢) أخرجه مسلم في صحيح (3/ 1343)، حديث رقم: (1718)، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 184)، حديث رقم: (2697)، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم في صحيحه (3/ 1343)، حديث رقم: (1718)، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، وأخرجه غيرهما.

(٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص: 698)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 236)

بعينه، بل كونه ردا أبلغ من كونه باطلا... فالمردود هو الذي لم يجعله شيئا ولم يترتب عليه مقصوده أصلا." (١)

قال النووي: "المردود هو الباطل غير المعتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئا فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في ابطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به" (٢).

فعلم من هذا الحديث بروايتيه أن كل ما يحدثه الإنسان من أمور لم يفعلها الشرع بدعة ومخالفة، ومحاولة إنزال المطر بهذه التقنية الحديثة يعتبر أمر مخالف.

ونوقش هذا الاستدلال: بأن الاستمطار الصناعي عادة، وليس من قبيل العبادات التي يدخل فيها الابتداع، وهذ الحديث خاص بما يستحدث من البدع في العبادات، فلا دلالة للحديث على ذلك.

وقد حمل علماء العقيدة العمل المردود الوارد في هذا الحديث على البدعة والإحداث في الدين، يقول الشيخ الفوزان: " قوله ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة." (٣).

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (6/ 169)
(٢) شرح النووي على مسلم (12/ 16)
(٣) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، للفوزان (ص: 178)

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- معلقا على الحديث: " إن هذا الباب كثر فيه الاضطراب، كما كثر في باب الحلال والحرام، والمقصود هاهنا العبادات، التي يتقرب بها إلى الله مفروض ومستحب." (١).

وقد بين العلماء أنواع البدع فقالوا: " أنواع البدع: البدع الاعتقادية، والبدع في العبادات، والبدع في المناهج، والبدع في التعامل، والبدع في السلوكيات، إلى آخره.

مع أن الأصل في البدع أنها في العقائد والعبادات، أما أمور السلوكيات والأخلاق والتعامل فإنها تحكمها المصالح العامة، والتي يكون الأصل فيها الحل والإباحة، وكذلك تناول ما يسره الله عز وجل للعباد من خيرات الأرض وما فيها من كنوز، كل ذلك الأصل فيه الإباحة، وقلّ أن يدخل فيه الابتداع، إنما الابتداع يكون في العقائد والعبادات والأعياد والاحتفالات، وهذا هو أغلب الابتداع الذي وقعت فيه الأمة، ولا تزال واقعة فيه." (٢).

ويقول الشقيري:" نقسم البدعة إلى دينية ودنيوية: فكل بدعة في الدين ضلالة .. أما البدعة في المصالح والمنافع الدنيوية المعاشية، فلا حرج ما دامت نافعة غير ضارة، ولا جارة إلى شر يعود على الناس، ولا ارتكاب محرم، أو هدم أصل من أصول الدين، فالله سبحانه يبيح لعباده أن يخترعوا لمصالح دنياهم وأمور معاشهم ما شاءوا، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ (٤)". (٥)

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: 49، 50)
(٢) مجمل أصول أهل السنة (3/ 6، بترقيم الشاملة آليا)
(٣) سورة الحج، من الآية: 77
(٤) سورة الحج، من الآية: 77
(٥) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات (ص: 15، 18)، ويراجع: الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية (ص: 11)

ثالثا-المعقول:

استدل القائلون بحرمة الاستمطار وحظره بالمعقول من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: إن عملية الاستمطار انما هي مجرد تعارض لتوكل البشر على رب البشر في انزاله للمطر واعتماده على غيره من الاساليب البشرية التي يمكن أن تكون مساوئها اكثر من محاسنها وضررها اكبر من نفعها.[١].

ونوقش هذا الاستدلال بأن: الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، بل إن التوكل من أقوى الأسباب لحصول المتوكل فيه، كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به. وإن من شروط التوكل الصحيح في الأمر القيام بكل ما أوجبه الله تعالى فيه من الأحكام الشرعية ومراعاة ما اقتضته حكمته فيه من الأسباب والسنن الكونية والاجتماعية. فمن يترك العمل بالأسباب فهو جاهل مغرور، لا متوكل منصور ولا مأجور.[٢]

الوجه الثاني: أن الإنسان لا يمكن أن يكون له مدخل في إنزال المطر، إلا على سبيل التخرص والتكهن كما هو الحال في هذه التقنية الحديثة، فلا يصح أن يقال هذا من قبيل فعل الأسباب كحرث الأرض للزرع، وكالزواج لإنجاب الولد، وغيرها من الأسباب التي تترتب عليها مسبباتها، فإن هذه أسباب مشروعة ومأمور بها، مع أن الله قد يقدر أن لا يحدث الإنجاب، أو الإنبات للأرض، أما إنزال المطر فلا سبيل لأحد إليه بأي وسيلة كانت سوى التقرب إلى الله بالعبادة. وبناء على ذلك فإن محاولة استخدام هذه التقنية في إنزال المطر لا تخلو من العبث والجرأة والتكذيب، أما العبث فلأنه غير ممكن شرعا ولا عقلا ولا واقعا، وأما الجرأة فلأنه تجرؤ على أمر قد اختص الله به، وأما التكذيب فلأن الإنسان بهذه التقنية الحديثة يدعي أن الله لم يختص بذلك. فتقنية الاستمطار تقول بلسان الحال أو بلسان المقال: نحن المنزلون! إذا نزل المطر كما يظهر ذلك من بعض التصريحات الصحفية، وإذا لم ينزل، قالوا: لم يأذن الله

---

(١) الاستمطار الصناعي للسحب د. هيفاء الزبيدي، (ص18)

(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: 484)

بذلك!!! فيجعلون لله ما يكرهون، ويجعلون لأنفسهم الحسنى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[١]

ويمكن مناقشة هذا الاستدلال: بأن نقول: سلمنا معكم بأنه لا سبيل لأحد إلى إنزال المطر، بل هو بيد الله وقدرته، وهو من باب الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله، وكلاهما مأمور بهما في الشرع، وكما أن الزواج لإنجاب الولد وحرث الأرض للزرع وغيرها من الأسباب التي تترتب عليها مسبباتها، قد يتحقق الأثر وقد لا يتحقق فكذلك إنزال المطر بالاستمطار قد يتحقق وقد لا يتحقق.

كما أننا نسلم معكم بأنه لا يجوز نسبة إنزال المطر إلى البشر، بل هو من نواقض العقيدة، وقد حذر العملاء من ذلك وبينوا: "ما يجوز للقائل أن يقول لما جرت به العادة مثل ما جرت به العادة في كثير من البلاد بأن يمطروا بالريح الغربية، وفي بلاد بالريح الشرقية، فيستبشر منتظر المطر إذا رأى الريح التي جرت عادة ذلك البلد أن يمطروا بها مع اعتقاده أن الريح لا تأثير لها في ذلك ولا فعل ولا سبب، وإنما الله تعالى هو المنزل للغيث، وقد أجرى العادات بإنزاله عند أحوال يريها عباده ولو جرت العادة بنزول المطر عند نوء من الأنواء فاستبشر أحد لنزوله عند ذلك النوء، على معنى أن العادة جارية به، وأن ذلك النوء لا تأثير له في نزول المطر، ولا هو فاعل له ولا أثر له فيه، وأن المنفرد بإنزاله هو الله تعالى لما كفر بذلك بل يعتقد الحق، وإنما كفر من قال مطرنا بنوء كذا لإضافة المطر إلى النوء واعتقاده أن له فيه تأثيرا أو فعلا." [٢]

وفي ليس في الاستمطار الصناعي بتقنيته الحديثة نسبة نزول المطر إلى القائمين بهذه العملية، بل هي عملية تقنية حديثة كغيرها من التجارب

---

(١) الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، خالد بن مفلح : النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو2008م - العدد 14631 على موقع : http://www.alriyadh.com/359356

(٢) المنتقى شرح الموطأ (1/ 335)

العلمية يجريها أصحابها وقد تنجح وقد لا يكتب الله لها النجاح بل الفشل، فالأمر بيد الله تعالى وحده.

وهناك كلام جيد ذكره بعض خبراء الأرصاد العمانيين [1] في هذا الشأن حيث يقول: "في الحقيقة مبدأ عمل الاستمطار في عمان بعيدٌ كل البعد عن هذه الآراء، فنحن لا ندعي صناعة المطر من العدم، ولا نكوِّن غيومًا ماطرةً، بل نعتمد على الظروف المناسبة من أجل تعزيز هطول الأمطار، وبفضل الله أثبتنا نجاح ما نصبو إليه... فهناك شريحة من المجتمع عندما تسمع كلمة استمطار صناعي تعتقد أنه يتم صنع الأمطار من العدم، بل إن حقيقة الأمر لا بد من توفر الظروف الملائمة له. عن طريق «تعزيز كمية هطول الأمطار»، ولا يمكن استجلاب الكتل السحابية، ولا تغيير مسارها، ولا إيجادها من العدم، فالاستمطار أساسا يعتمد على العوامل التي يسخرها الله عز وجل والرياح التي يرسلها الله، وهناك من يعتقد كذلك أن الاستمطار تنتج عنه رياح قوية وعواصف رملية، ولكن نحن من يعتمد على اتجاه الرياح في هذه العملية، ولسنا من نصنعها أو نتحكم بها».[2]

وقد نقل الشيخ عبد المجيد الزنداني عن الدكتور محمد جمال الدين الفندي - أستاذ الفلك والطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة قوله: "إن الظروف الطبيعة التي تؤدي إلى تكوين المُزن – السحاب -، ونزول المطر: لا يمكن أن يصنعها البشر، بل وحتى لا سبيل إلى التحكم فيها، ولا يزال موضوع "المطر الصناعي" ليس مطراً صناعيّاً؛ لأن المطر لا يصنعه الإنسان في المعمل، وإنما هو مطر يستحث الإنسان نزوله - واستمطار السحب العابرة.... فإن من اللازم أن توفر الطبيعة الظروف

---

(١) هكذا ذكره الكاتب الصحفي العماني عامر الأنصاري ولم يعين قائله.

(٢) الاستمطار الصناعي بين النتائج الإيجابية والفهم الخاطئ يهدف إلى المحافظة على موارد السلطنة واستدامتها –تحقيق: عامر الأنصاري:
http://omandaily.om/?p=164190

الملائمة للمطر الطبيعي حتى يمكن استمطار السماء صناعيّاً، أي: إن واجب علماء الطبيعة الجوية لا يتعدى قدح الزناد[١] فقط " انتهى. [٢]

الوجه الثالث: إن الأسباب الحقيقية للاستمطار هي اللجوء إلى الله والتضرع إظهار الحاجة والضعف والتخلي عن المعاصي وكثرة الاستغفار، وهذا هو البديل الوحيد الصحيح الشرعي، وهو الاستسقاء والتوكل على الله [٣]، وهو أرجى من محاولات الاستمطار التي لم يثبت نجاحها.[٤]

فإن الذي صنع الكون ويسير أفلاكه، وخلق المخلوقات ويعلم أفعالها وأسرارها وحاجاتها هو القادر وحده على إنزال الغيث، فاقتضى ذلك عقلا أن يكون الرجاء منه، وهذا الرجاء لا يحتاج إلى مال، ولا إلى جهد، بل مجرد إيمان ويقين متبوع بدعائه أن ينزل الغيث على مخلوقاته لحاجتهم إليه، فهو أقرب إليهم وأرحم بهم من أنفسهم.[٥]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٦]

هذا وقد رأى كثير من المنصفين والباحثين في هذا المجال أنه لا فائدة من الاستمطار، بل إنه يجر إلى كثير من الويلات والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ناهيك عما يذكره علماء البيئة من المضار لهذا العمل، ولربما كان له أثر سيئ على النبات والحيوان، وهناك أيضا عقبات وصعوبات في تقييم النتائج؛ لأن ذلك يعتمد على الأحوال الجوية وسرعة الرياح أو توقفه، وأن هذا المطر قد ينزل دفعة واحدة فيدمر أكثر مما

---

(١) قدح الزناد: أي بذل الجهد، قدَح ذهنَه في الأمر/ قدَح زنادَ فكره في الأمر: فكَّر فيه طويلاً، استغرق في التفكير وأمعن فيه. (معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 1778)

(٢) توحيد الخالق للشيخ عبد المجيد الزنداني" (ص: 223)

(٣) الاستمطار وحكمه، د. أحمد بن محمد العمودي:
http://www.dahran.net/dahran/articles.php?action=show&id=300

(٤) استمطار السحب، د. عبدالله السحيباني (ص 6)

(٥) استنزال المطر من السحب ومدى جوازه، د. عبدالرحمن النفسية:
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=5053

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

ينفع، وكذلك البرد والثلج قد ينزل منه مجموعات كبيرة جدا فتدمر وتخرب بدلا من أن تنفع، وأيضا فإن السحب تسير ولا تقف، فقد يريدون المطر في مدينة معينة، فيكون في مدينة أخرى أو حتى دولة أخرى، فإنه لا يتحكم في هذا إلا الله وحده، ثم إن علماء البيئة صرحوا أكثر من مرة بأن النتائج كانت سلبية ولم تتم عملية واحدة تماما 100%.[١]

ويذكر بعض علماء البيئة من الباحثين في علم الاستمطار: أنه من خلال التجارب التي أجريت في مجال زيادة الأمطار فإن النتائج كانت في أغلبها سلبية، وأخفقت العديد من المشاريع خاصة مشاريع بذر السحب، بحيث لم تحقق الهدف الذي تبتغيه، بل كانت النتيجة معاكسة، وهي حدوث تناقص في الهطول، وكانت نسبة التناقص في العديد من المشاريع تفوق نسبة الزيادة المعتادة والمتوقعة قبل إنجاز المشروع.[٢]

لذا يعد التحكم في معدل سقوط المطر الاصطناعي ومكان سقوطه من أهم المشكلات التي تواجه العلماء المختصين في مجال علم الأرصاد، كما أن عمليات إسقاط المطر لا تزال مكلفة، ولذا لم تخرج إلى حيز التنفيذ الميداني إلا على شكل تجارب بحثية بهدف الدراسة.[٣]

---

(١) الاستمطار وحكمه، د. أحمد بن محمد العمودي:
http://www.dahran.net/dahran/articles.php?action=show&id=300

(٢) يرجع بعض الباحثين في تلك التجارب السبب في انخفاض نسبة الهطول المطري عن الطبيعي إلى ما يلي:

1- البذر المفرط بنوى التجمد الاصطناعية، مما يعمل على إحداث تجمد في كامل الأجزاء العليا من السحابة الشديدة البرودة، وهذا ما يعيق أو يلغي عمليات النمو التراكمي ....

2 - قلة كمية مادة البذر المستخدمة، وضعف التخطيط والبرمجة الإحصائية.

3 - الظروف الجوية، وطريقة وموقع مكان البذر. استمطار السحب، د. عبدالله السحيباني (ص 4)، الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، خالد بن مفلح : النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ - 15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع :
http://www.alriyadh.com/359356

(٣) استمطار السحب، د. عبدالله السحيباني (ص 5) نقلا عن مجلة العلوم والتقنية (ص18)

يقول الكاتب البيئي أسعد سراج أبو رزيزة: "في عام 2003م ذكر تقرير للأكاديمية القومية للعلوم بالولايات المتحدة الأمريكية: (أنه لا توجد حتى الآن أدلة حاسمة، ونتائج موثقة تؤكد فاعلية هذه التقنية).

وتذكر جمعية الأرصاد الجوية الأمريكية: (أن هناك مؤشرات لاحتمال زيادة كمية الأمطار بنسبة 10% بعد بذر السحب واستمطارها).

ويقول الدكتور "ويليام كوتون" من قسم علوم الأرصاد بجامعة ولاية كولورادو: "إنه لم نر - باستثناء بعض الحالات النادرة - أدلة حاسمة تؤكد أن استمطار السحب يحقق أهدافه".

وتذكر منظمة الكومنولث للعلوم والصناعة في تقرير لها: "أنه من المستحيل كسر الجفاف باصطياد المطر صناعيّاً، وتؤكد أن نجاح تجاربها كان مرهوناً بنوع السحب المستهدفة، وأن معظم السحب لا يمكن استمطارها". (١)

كما أن مشروع الاستمطار الصناعي قد ثبت وجود الضرر في استخدام هذه التقنية على الأحياء من البشر والحيوان والنبات؛ لأن المواد المستخدمة في بذر السحب مواد سامة بحسب تصنيف المنظمات العالمية، ومنها مكتب البيئة والصحة والسلامة بجامعة بيركلي، كاليفورنيا بالولايات المتحدة، يصنف يود الفضة بأنه مادة كيماوية غير عضوية، خطرة، لا تذوب في الماء، وسامة للإنسان والأسماك. وتفهرس وكالة حماية البيئة الأمريكية مادة يود الفضة ضمن المواد الخطرة والسامة.(٢)

يقول د. عبد الرحمن النفسية معترضا على تقنية الاستمطار ومعززا لأدلة المانعين: "ومن واجب المسلم الذي لا ينفك عنه أن يستفيد من العلم الذي علمه الله للإنسان، فما علَّمه هذا العلم إلا لكي يستفيد منه في حياته؛ لقوله عز وجل في حكم تقريري فضل الله فيه الذين يعلمون على الذين لا

---

(١) المطر الصناعي " حقيقته، وأقوال العلماء فيه https://islamqa.info/ar/

(٢) الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، خالد ابن مفلح : النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو2008م - العدد 14631 على موقع: http://www.alriyadh.com/359356

يعلمون: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله عز ذكره: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]، وما علَّم الله الإنسان علما إلا ليستفيد منه، وليس لأحد أن ينازع في أمر الإسلام بتعلم العلم وتعليمه، فهذا من مبادئه وقواعده، ولكن السؤال حول ماهية هذا العلم ومدى الفائدة منه، فالأصل أن يكون لهذا العلم مصدر من الشرع إما بالنص أو الاجتهاد المستنبط منه، ومن شروط قبول العلم أن يكون أولا: مشروعا بحيث لا يصادم نصا من كتاب أو سنة. ثانيا: ألا يكون فيه ضرر. ثالثا: أن تكون فيه مصلحة ظاهرة للإنسان في دنياه وأخراه، فإن كان غير ذلك لم يكن علما وإن سمى بهذا الاسم.

وبتطبيق هذه الشروط على تقنية استنزال المطر من وسيلتها المادية لا يبدو أن هناك نصا يحكمها؛ لأنها من النوازل المعاصرة، ولكن يبدو عدم انطباق الشرطين الآخرين على هذه التقنية، إذا ثبت أن المادة أو المواد المستخدمة فيها ضارة بالإنسان أو الحيوان أو النبات، أو إذا ثبت عدم وجود مصلحة ظاهرة من استخدامها، كما لو كانت هذه التقنية تستخدم في مكان وينزل المطر في مكان آخر، أو كان نزول المطر ضعيفاً".[3]

ويمكن مناقشة قولهم : (إن الأسباب الحقيقية للاستمطار هي اللجوء إلى الله والتضرع إظهار الحاجة....) بأن تقنية الاستمطار الصناعي تقنية حديثة، وهي لا تتنافى مع الدعاء والتوكل على الله، فكما أن الدعاء والاستغفار أخذ بالأسباب مع التوكل على الله فكذلك الاستمطار أخذ بالأسباب الحديثة مع التوكل على الله وارتباط الأمور بمشيئته وإرادته.

وقولهم: (إن نتائج عملية الاستمطار كانت في أغلبها سلبية، وأخفقت العديد من المشاريع خاصة مشاريع بذر السحب... كما قد ثبت

---

(١) سورة الزمر، من الآية: 9

(٢) سورة العلق، الآية: 5

(٣) استنزال المطر من السحب ومدى جوازه، د. عبد الرحمن النفسية:
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=5053

وجود الضرر في استخدام هذه التقنية؛ لأن المواد المستخدمة في بذر السحب مواد سامة مثل (يود الفضة)...الخ).

بأنه قد أجريت تجارب حديثة لإنزال المطر عن طريق الاستمطار ولاقت نجاحا وحققت نتائج إيجابية، وذلك عندما بدأ العالمان الأمريكيان (شيفر) و(لانغموير) سنة: 1946م تجاربهما في مختبر الكهرباء المركزي في نيويورك على سحب تحتوي على مياة فوق مبردة وذلك في غرفة مبردة، حيث ألقيت حبيبات من مادة الجليد الجاف وعلى الفور تشكلت سلسلة من البلورات الثلجية على طول مسار هذه الحبيبات، وقد فسر هذه النتيجة: بأن درجة الحرارة المنخفضة جدا للهواء الملامس لسطح الجليد الجاف البالغة: 78 مئوية قامت بتجميد القطيرات المائية على طول مسار الحبيبات الجلدية الجافة وأسهمت الحرارة المنخفضة بزيادة اشباع الهواء ببخار الماء الذي أسهم بدوره في تجميد سريع للقطيرات، ومن ثم بدأت عملية التساقط.

وقد أجريت تجارب مماثلة فوق استراليا وحققت نجاحا جزئيا، وبذلك اقتنع العلماء بأن الطبقات فوق المبردة من السحب بشكل عام وكذلك السحب الركامية يمكن تحويلها بسهولة إلى سحب جليدية ممطرة بإذن الله تعالى. (١)

وقد ظهرت نتائج جيدة للاستمطار، إذ قامت العديد من الشركات في الولايات المتحدة بتطوير عدد من التقنيات لحث السحب على الاستمطار، وتم بعضها فوق المكسيك وتايلند وأمريكا وروسيا والأرجنتين والصين، وغيها من البلاد العربية. (٢)

---

(١) الاستمطار لعلي موسى(66) الاستمطار لأحمد خليل(109) الاستمطار لمحمد فياض(26)

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص9) نقلا عن:

Dennis, A.S 1980, Weather modification by cloud seeding. Academic press, New York.

- Hess, W.N., 1974, Weather & Climate modification. John Wiley & sons, New York.

- Al- Fenadi, Y.S., Desription of cloud seeding experiment in

وكانت أغلب تجارب الدول التي طبقت تقنية الاستمطار تستخدم "يوديد الفضة"[١]، وفي دراسات حديثة أخرى في نفس الموضوع أشارت إلى عدم وجود أي ضرر يذكر على البيئة، وذلك عن طريق استخدامها المحاليل التي يتم رشها في السحب – من خلال نسبة تركيزها – كمثال أن تركيز يوديد الفضة المستخدم في تجربة الاستمطار ما هو إلا بمقدار (٠.١) مايكروجرام في اللتر الواحد(micrograms per liter0، 1) في حين أن النسبة المقبولة والتي اعتمدتها منظمة الصحة العالمية هي (٥٠(مايكروجرام في اللتر الواحد50 micrograms per liter))، وبهذا يتضح أن هذه النسبة المستخدمة ليس لها أثر يذكر في البيئة أو لها ضرر يؤثر على الانسان أو الحيوان.[٢]

---

north Libya, proceedings of WASTA 4th gulf water conference, February 13-12-1999, State of Bahrain, vol. 1, p. 413-451.
- Benaichata, L., Rain enhancement developments in Algeria, the regional seminar on cloud physics and weather modification Damascus, Syria, 17- 20 October 2003, p.53.

(١) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص9) نقلا عن:

Dennis, A.S 1980, Weather modification by cloud seeding. Academic press, New York.
- Hess, W.N., 1974, Weather & Climate modification. John Wiley & sons, New York.
- Al- Fenadi, Y.S., Desription of cloud seeding experiment in north Libya, proceedings of WASTA 4th gulf water conference, February 13-12-1999, State of Bahrain, vol. 1, p. 413-451.
- Benaichata, L., Rain enhancement developments in Algeria, the regional seminar on cloud physics and weather modification Damascus, Syria, 17- 20 October 2003, p.53.

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي (ص13) نقلا عن:

- R.L. Younger & H.R. Crook shank, 1977, Veterinary Toxicology & Entomology Research Laboratory, U.S. Department of Agriculture, Agricultural Research Service, P.O. Drawer GE, 77840 College Station TX, USA.

وقد أشار أحد الخبراء العمانيين إلى موضوع مخاوف شريحة من الناس من عملية الاستمطار بقوله: "أي شيء إذا زاد عن حده لا بد أن تكون له أضرار وكما يُقال (ينقلب ضده)، والعملية إذا لم يتم التحكم بها بطريقة متقنة قد تؤدي الى ضرر، والضرر المحتمل الوحيد يتمثل في كميات الأمطار المتساقطة فقط، ولا توجد للطريقة الأيونية أي أضرار أخرى تؤثر على صحة الإنسان، فالطريقة آمنة جدا وخالية من المواد الكيميائية، فمن يخالجه الشك بأن الاستمطار بالطريقة الأيونية يؤثر سلبا على المحاصيل الزراعية أو على الحيوانات أو المياه الجوفية فليطمئن، فكل ذلك ليس له من الواقع صحة، وللعلم فإن السحابة الركامية تحتوي أساسا على الأيونات السالبة بالإضافة إلى الشحنات الموجبة، وكل العملية هي عبارة عن إرسال كميات أكبر من الأيونات السالبة لتتم استثارة السحابة وحثها على إسقاط المطر». وأضاف الخبير تعليقًا على الأضرار التي تنتج عن الأمطار الغزيرة من تدمير لبعض المحاصيل، وغرق بعض المنازل ودخول الماء إلى المساكن، وغيرها، بقوله: «يوجه البعض أصابع الاتهام إلى الاستمطار في مثل تلك الحالات والاستمطار منها بريء، ففي حال المنخفضات الجوية والعواصف المدارية المحملة بالأمطار الغزيرة وبعد التأكد من نوع الحالة الجوية ومعرفة كمية الأمطار المتوقع سقوطها من المختصين بالهيئة العامة للأرصاد والملاحة الجوية يتم إغلاق أجهزة البواعث تحسبا لأي زيادة غير متوقعة لكمية الأمطار".[1]

كما أن القول بأن الاستمطار الصناعي لا مصلحة ظاهرة فيه قول منقوض بما ذكرناه من فوائد كثيرة لعملية الاستمطار، فلتراجع في موطنها من البحث.

أدلة الرأي الثاني القائل بالإباحة والجواز:

---

(١) الاستمطار الصناعي بين النتائج الإيجابية والفهم الخاطئ يهدف إلى المحافظة على موارد السلطنة واستدامتها –تحقيق: عامر الأنصاري:
http://omandaily.om/?p=164190

استدل أصحاب هذا الرأي على جواز الاستمطار الصناعي بالكتاب والسنة والمعقول:

أولا- الكتاب:

استدل القائلون بجواز الاستمطار بأدلة من الكتاب الكريم، منها ما يلي:

1- قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[1]

2- قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]

3- قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]

4- قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾[4]

وجه الدلالة من الآيات السابقة: دلت هذه الآيات جملة وفرادى على أن جميع ما في الأرض منعم به عليكم فهو لكم، وأن الله سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، يعنى: أنه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته،

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: 32، 33

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥

(٤) سورة لقمان، من الآية: ٢٠

ثم سخرها لخلقه، وأن أصل الأشياء التي ينتفع بها الإباحة بهذه الآية، حتى يقوم الدليل على الحظر. [١]

فالأصل أن كل ما في هذا الكون من مسخرات مباحة للإنسان، فهي تحت تصرفه، يفعل بها ما يشاء، ما دام أن عمله داخل تحت دائرة المباح، الذي لم يرد النص أو الدليل العام أو الخاص على المنع منه [٢]، فجميع مخلوقات الله مسخرة للإنسان، والأصل فيها جميعا الإباحة بشروط:

أ- أن يعتمد المسخر على الله ويتوكل عليه.

ب- أن يربط الأسباب بالمسببات.

ج- أن يلتزم بالمعنى الحرفي للتسخير، فلا يتصور أن يسخر اليابسة فيحولها ماء أو يحول الطير إلى إنسان، فهذا اعتداء وتجاوز، وليس تسخيرا[٣].

5- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٤]

وقال عز من قائل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[١]

---

(١) تفسير القرطبي (1/ 251)، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 288)

(٢) استمطار السحب... حقيقته وحُكمه، بقلم: خالد بن عبدالرحمن الشايع، حرر: 1428/1/20هـ، khalidshaya@hotmail.com، الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو2008م - العدد 14631 على موقع : http://www.alriyadh.com/359356

(٣) الاستمطار في الاسلام، للدكتور ياسين محمد الغادي(ص389)

(٤) سورة النور، الآية: ٤٣

وقال سبحانه وتعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]

وقال سبحانه وتعالى﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٣]

وجه الدلالة من الآيات: دلت هذه الآيات على أن الله ينشئ الرياح سحابا، فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، ويجعل السحاب قطعا متفرقة. ثم ترى الودق- أي المطر - يخرج من بين السحاب، فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون. [٤]

فالله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، ولا ينقصه ولا يزيده، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء، يُمْطَرُ قومٌ ويُحْرَمُ آخرون. [٥]

فالله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها، طيبا نسيمها، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشئ بها سحابا ثقالا حتى إذا أقلتها ساقه الله لإحياء بلد ميت، قد تَعَفَّتْ مَزَارِعُهُ، وَدَرَسَتْ مَشَارِبُهُ، وأجدب أهله، فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات. [٦]

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٢
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧
(٣) سورة فاطر، الآية : ٩
(٤) جامع البيان (20/ 115، 114)، ويراجع: بحر العلوم (3/ 17)، اللباب في علوم الكتاب (15/ 423)
(٥) التفسير الوسيط للواحدي (3/ 42)، ويراجع: تفسير السمعاني (3/ 134)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 529)
(٦) جامع البيان (12/ 492)

يقول بشير التركي:" إن هذه الآيات تعلمنا شيئاً عن العلاقة بين المطر والرياح والسحاب بطريقة علمية، تجعلنا نقترب كثيراً لفهم مبدأ الاستمطار بصورته المبسطة وكيفياته وحكمه، فماء المحيطات والبحار يتبخر بفعل الطاقة الشمسية، أي أن الماء المائع يصبح غازاً لا يرى مثل الهواء، فتحمل الرياح هذا الغاز الساخن وتصعد به إلى الطبقات الجوية العليا، فإذا التقى هذا الغاز بأجسام باردة كجبل مرتفع مثلاً أو رياح باردة في الطبقات العليا من الجو، ترك حرارته ورجع مائعاً على شكل قطرات صغيرة جداً، يكون حجمها جزءاً من ألف من المليمترات تقريباً، فلا تسقط هذه القطرات على سطح الأرض للزوجتها في الهواء بسبب حجومها الصغيرة، ثم تأتي السحب التي فيها مطر – ولكنه ضعيف لا ينزل على الأرض لضعف السحابة – تحملها الرياح، فيتم تلقيح السحابة بواسطة الرياح، وهذا هو اللقاح الأول، ويتم من مزج شيئين أحدهما بارد والآخر ساخن، لكن لا يتحول البخار ماءً بمجرد اتصاله بشيء بارد، بل ينبغي على الرياح أن تحمل معها (مراكز تمييع) وهي قسيمات مجهرية من الغبار الذي تثيره من سطح الأرض إلى السماء، وهكذا يقع تلقيح الهواء، ليصبح سحاباً، وتصبح الرياح بهذه الصفة.

إن القطرات التي يتكون منها السحاب مشحونة كهربائياً، إما سالبة كلها، وإما موجبة كلها، وإما نصفه الأسفل من نوع كهربائي، ونصفه الأعلى من نوع آخر -وهذه الكهرباء تجعل قطرات السحاب لا تتجمع، بل تدفع بعضها بعضاً - وتحمل الرياح هذا السحاب إلى أن يلتقي إما بسحاب آخر أو جبل، أو أي مرتفع ذي كهرباء مضادة، فتتصل الكهرباء السالبة بالكهرباء الموجبة، فيتكون تلقيح من نوع آخر، وهذا هو النوع الثالث من التلقيح، تكونه الرياح للسحاب، وينشأ عنه البرق ثم الرعد، فيصبح السحاب محايداً لا كهرباء فيه، فتتضخم قطراته بسرعة وتسقط على الأرض في شكل مطر، أو إذا كانت البرودة شديدة، في شكل ثلج، وهذا لا يقع إلا بإذن الله، فهناك سحب لا يسقط منها مطر ولو نشأ الرعد فيها،

وهناك سحب صغيرة بدون رعد تنشأ عنها أمطار غزيرة كل ذلك بإذن الله. (١)

فهذه الآيات تنهض بمجموعها لتؤيد فكرة الاستمطار بالطرق العلمية المبتكرة، فإذا كانت العوالم المخلوقة جميعها مسخرة للإنسان من أرض كذلول، ومن سماء كركوب، ومن فضاء كهبوط وصعود، ومن سحب لتنزيل المطر، فلا داع أن يظن أن هذه الأخيرة أعظم شأناً، وأبعد منالاً كي يتحرج الإنسان من التعامل معها أو الوقوف أمامها موقف العجز والكسل أو الذي لا حول له ولا طول، لا سيما وأن الآيات القرآنية حدثتنا عنها إلى حد بعيد، وبالأخص في مثل النوع الثقيل ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾(٢) القريبة من الأرض التي تعزم على إفراغ حمولتها من المطر، وهذا يعني أن نوعاً أو أنواعاً أخرى بعيدة أو قريبة من الأرض، لكنها غير ثقيلة، فتحتاج إلى تلقيح بقذف بلورات أو مساحيق أو أبخرة – مما استطاع العقل البشري تصنيعه – كمساعد لها في التكاثف والهطول. (٣)

6- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)

وجه الدلالة: دلت الآية على اختصاص علم تنزيل الغيث به سبحانه؛ لظهور أن المراد بعنده تنزيل الغيث: عنده علم تنزيله، فلا يدري أحد من

---

(١) لله العلم، بشير التركي، ص 164- 165
(٢) سورة الرعد، من الآية: 12
(٣) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي (ص389)
(٤) سورة لقمان، الآية٣٤

الناس متى ينزل الغيث، ليلا أم نهارا، فهو وحده يعلم نزوله في زمانه ومكانه، فهو منزله فيما يشاء من زمان ومكان.[١]

إن إنزال المطر من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وحده، ولا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها. إن كل ما يفعله العالم المجرب والمكتشف للمطر الصناعي هو فقط تجارب على عوالم موجودة ومثبوتة في ملكوت الله عز وجل الواسع، وليس إحداث شيء من العدم، والتجارب إما أن تؤول إلى نجاح أو إلى فشل، فإذا نجحت فذلك شيء علمه الله لمن شاء من خلقه، وإذا فشلت فشيء حجبه الله عمن شاء من خلقه.[٢] وفي هذا يقول ابن كثير: (وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر الله به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء من خلقه) [٣]، وبمثل المعنى نفسه، يقول ابن عباس: إن بخار الماء لفي نقرة إبهامه (يقصد ملك الرعد الذي يسوق السحاب والموكل به بحيث يصرفه حيث يؤمر). [٤][٥]

لن يمكن أبداً إسقاط مطر من سحابة لا تحتوي على سمات السحابة القابلة للهطول، أو من سحابة لم تصل إلى درجة مناسبة من التطور أو النضج، وبالتالي فإن الإنسان لا يستطيع إلا أن يعجل بعملية الهطول مستعيناً في ذلك بالوسائل التنقية الملائمة، على شرط أن تكون الظروف الطبيعية لذلك مجهزة سلفاً، ولو كان الأمر غير ذلك لما كان الجفاف عملياً، وهذا غير حادث، وكما هو واضح فإن التحكم بالمطر والطقس

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي (3/ 448)، تفسير العز بن عبد السلام (2/ 545)، تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 401)، تفسير الألوسي = روح المعاني (11/ 107)

(٢) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين محمد الغادي(ص403)

(٣) تفسير ابن كثير (6/ 352)

(٤) تفسير القرطبي (9/ 296)

(٥) الاستمطار في الاسلام، للدكتور ياسين محمد الغادي(ص403)

الجميل ما زال حتى اليوم حلماً، ولا يستطيع الإنسان أن يقطع كيفما يشاء الدورة الثانية التي تضمن حركة المياه في الطبيعة.[١]

فقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾[٢] لا يتعارض مع استمطار السحاب؛ إذ إن ما يتوصل له العلماء من أمور تتيسر بها حياة الناس لا يعد تدخلا فيما استأثر الله بعلمه، فنزول المطر بيد الله وهو واقع تحت مشيئته. ثم إن هذه الاستمطارات ما هي إلا عمل في جزء محدود من عملية نزول المطر الكبيرة والضخمة –التي تتم بقدرة الله وحده – وقد تنجح أو تفشل تبعاً للظروف المواتية لها. فالعلماء يتحينون الفرص التي يقدرها الله كنوع السحاب واتجاه الرياح وغيرها من الأحوال. والمحاولات التي بذلت إلى الآن في العالم لاستمطار السحب لا تزال تجارب في بداية تطورها رغم أنها بدأت في بداية القرن الماضي، فعملية الاستمطار لا تتعدى كونها قدح زناد فقط بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية.[٣]

ثانيا – السنة:

استدل القائلون بجواز الاستمطار الصناعي بما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا».[٤]

---

(١) الاستمطار في الاسلام، للدكتور ياسين محمد الغادي(ص425)، نقلا عن: حسان شمسي، الأسودان التمر والماء، ص 185، نقلاً عن موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص69)

(٢) سورة لقمان، الآية٣٤

(٣) الاستمطار الصناعي للسحب، هيفاء الزبيدي (ص19)

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (2/ 1395)، حديث رقم: 4169، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِكْمَةِ، والترمذي في سننه (4/ 348)، حديث رقم:2687، كتاب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، قال أبو عيسى:" هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه.

وجه الدلالة: دل هذا الحديث على أن الكلمة المشتملة على الحكمة مطلوبة بأشد ما يتصور في الطلب، كما يطلب المؤمن ضالته فاللائق بحال المؤمن أن يكون مطلوبه الكلمة الحكمة حيثما وجدها أخذ بها. [١]

فكان مما يوجبه علينا ديننا الحنيف أن نستفيد من التقنيات الحديثة، التي تعود علينا بالرقي والتقدم في ديننا ودنيانا [٢]، ومنها تقنية الاستمطار الصناعي.

ونوقش الاستدلال بهذا الحديث: بقول الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه [٣]، وقال الشيخ الألباني: " الحديث ضعيف جدا"[٤]

ثالثاً- المعقول:

يستدل على جواز الاستمطار بالمعقول من وجوه:

الوجه الأول: أن مكونات القطر والغيث التي قدرها الله وفق هذه الأركان الثلاثة (الرياح، السحاب، المطر) جارية وفق ناموس كوني محدد خلقه الله وقدَّره، وجعل له نظامًا دقيقًا، وقد يتوصل العباد إلى معرفة هذا النظام الكوني أو بعض أجزائه، كعلمهم بمواسم الأمطار واتجاهات الرياح وأنواع السحاب، وكعلمهم بوقت الكسوف والخسوف ونحو ذلك، ولكنهم لا يستطيعون أن يبتدئوا هذه الأمور ولا التصرف بها، وإنما هم داخلون معها ضمن أجزاء التقدير الكوني الرباني.

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2/ 542)

(٢) الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، الدكتور خالد بن مفلح آل حامد، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ - 15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع :

http://www.alriyadh.com/359356

(٣) سنن الترمذي (4/ 348)

(٤) سنن الترمذي بتعليقات الألباني (5/ 15)

الوجه الثاني: إن عملية الاستمطار لا تعدو سببًا من الأسباب التي يبذلها العباد، والتي تسير وفق السنن الكونية التي أوجدها الله جل وعلا، فاستمطار السحب كمثل صنيع المزارع الذي يحرث الأرض ويبذر الحب ويسقي الزرع فينبت ويورق ويثمر، ومع ذلك وإن سمي مزارعًا إلا أن الزارع حقيقةً هو الله سبحانه، ومثله ماء الإنسان الذي يجعله في قرَارٍ مَّكِينٍ ويلتقي بماء المرأة، لينتهي دورهما عند هذا الحد، ثم يقلب الله هذه النطفة ويخلقها في أطوارها المقدرة ويصورها كيف يشاء سبحانه، ولا يصح عقلا ولا شرعًا أن ينسب للأبوين أنهما هما اللذان خلقا الجنين، بل غاية صنعهما أنهما عملا بالأسباب، كما صنع المزارعون وكما يصنع خبراء المطر الصناعي.

ولذلك فإن عملهم جميعًا (صاحب النطفة وصاحب البذرة وصاحب تلقيح السحب) حلقة من حلقات الثمرة النهائية، فلو لم تتوفر الأسباب الأخرى التي قدرها الله ما استطاعوا انجاز ما أرادوا، فالنطفة لا بد لها من رَحِم، ولا بد من سلامتها وسلامة موضعها، وغيرهما من الأحوال العديدة التي لو اختلت لما تكون الجنين، ولذلك فإن العلماء يعزُون حالات الإجهاض المبكر في معظمها إلى وجود التشوهات في العلقة أو المضغة، قال الله سبحانه ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[1]. وهكذا المزارع لا يستطيع أن يخرج عن الأحوال التي قدرها الله لإتمام الزرع، وكذلك تلقيح السحب لا يتفرد الخبراء بجعله ممطرًا، بل يتحينون الفرص التي يقدرها الله كنوع السحاب واتجاه الريح وغيرهما من الأحوال.[2]

يقول الدكتور عبدالله المُتلفظ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[3] ولا يكون خلق الإنسان بالإزواج

---

(١) سورة الحج، من الآية: ٥

(٢) استمطار السحب... حقيقته وحُكمه، بقلم: خالد بن عبدالرحمن الشايع، حرر:1428/1/20هـ:

khalidshaya@hotmail.com

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٩، 58

والاتصال وهي إرادة وفعل بشري محض، ولكنه في محيط وبيئة ليس له فيها إرادة، وتدبر قوله ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1]، فنسب الخالق الزراعة نفسه - سبحانه وتعالى - ومراحل الزراعة من حرث وزرع وري ورعاية إرادة وعمل بشري محض مأمور إلى فعله وعمله على وجه خبرة مكتسبة، ولم يؤمر أن يتكل على الطبيعة، فالسماء لا تمطر بصلاً ولا خياراً.

أيضاً نجد أن المزارع يتدخل كيميائياً عبر السماد العضوي والكيميائي في مضاعفة محصوله، وفي هذه الحالة لا نقول هذا محصول صناعي، وتدخل بشري ممنوع ومحظور، وهذا الدور نفسه الذي يقوم به المستمطر بطائرتبإذن الله تعالى. يقول الله تعالى﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾[2] وهذه منة أخرى من المنان سبحانه وتعالى يذكِر بها عباده أنه هو وحده سبحانه منزل الماء من السحاب... وتدخل الإنسان المحدود في عملية بذر السحب أو التلقيح الصناعي هو سبب تحت مشيئة الله إن شاء الله أمضاه وإن شاء أبطله﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، وتلقيح السحب مقدر من الله، وهو عمل مشابه لما يقوم به المزارع في إضافة السماد أو في تلقيح النخل على سبيل المثال، فكل هذا سبب واقع تحت مشيئته وقدرته سبحانه وتعالى إن شاء أمضاه وتضاعف المحصول وتلقح النخل، وسقط المطر وإن شاء سبحانه وتعالى أبطله وأبطل مفعوله.

وأيضاً قال الله تعالى﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[4]نعم لقد منّ الخالق على عباده أن جعل المطر عذباً فراتاً لا ملحاً أجاجاً، ومع ذلك توجه الإنسان للبحر الأجاج فقام بتحلية مياهه عبر تقنية عصرية. والتحلية

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان:: ٦٤، ٦٣
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٦٨
(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٩
(٤) سورة الواقعة، الآية: 70

محاكاة صناعية بشرية لآلية الدورة المائية الطبيعة بمعنى آخر التحلية (مطر صناعي) ولم يعد ذلك العمل وتلك التقنية محاكاةً ومضاهاةً لخلق الله بل هو مما أتاحه وأباحه الله عز وجل.

لذا فالاستمطار - والله أعلم - عمل مشروع (إذا ثبتت جدواه الاقتصادية) وليس فيه محادة للخالق عز وجل في علاه، ومن أجل بقاء الحياة في ظروف مناخية صحراوية قاسية وتوفير الماء للبلاد والعباد فنحن مأمورون شرعاً بفعل الأسباب الحسية كحفر الآبار الارتوازية، وإقامة السدود في المناطق الجبلية، وتشييد القنوات المائية، وتحلية مياه البحر الملحية، وأخيراً تفعيل تقنية الاستمطار لزيادة الكمية، ومع هذا كله يبقى الإنسان ضعيفاً ذليلاً لخالقه، فلا يستطيع الإنسان تبخير المحيطات وترطيب الأجواء والسماوات، وسوق الرطوبة إلى القارات وتكثيفها والتأليف بينها لتكون ركاماً يحمل الخيرات، بل هذا لله وحده الخالق المالك المدبر... وفي هذا الموسم (1428/ 1429هـ) على سبيل المثال عبرة لمن التبس واشتبه عليه الأمر، فطائرات الاستمطار رابضة في مدارجها لم تتحرك طول موسم الشتاء؛ لأن الخالق لم يشأ أن يسوق لنا المنخفضات الجوية الحاملة للأمطار، قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]. [2]

الوجه الثالث: أن هذه المحاولات لإنزال المطر من السحاب لها نظائر في حياتنا ولو في نطاق ضيق، كما في عمليات فصل الملح عن الماء ليصير عذبا، فهي تدور على التبخير والتكثيف، وليس هذا تدخُّلا في صنع الله، بل هو تصرُّف واستخدام للمادة التي خلقها الله، ولا يمكن لأحد أن يخلُق الحرارة والبرودة أو الماء بوسائط أو موادَّ غير ما أوجدَه الله في الكون، كما أن مداواة المريض بمواد خلقها الله لا تبرر إسناد الشفاء الحقيقي إلى غير الله سبحانه، ومع كل تلك المحاولات لاستِنْزال المطر صناعيًا إلا أن الإنسان لن يجاوز ضعفه ولن يخرج عن سنن الله، فإن كثيرا من بلاد هؤلاء العلماء والخبراء الذين يبنون عمليات استمطار

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩

(٢) تقنية الاستمطار، د. عبد الله المسند، ص ٤: http://www.almisnid.com

السحب لا زالت أنحاء من بلدانهم تشكو الجفاف وقلة الماء وهلاك الزرع والحيوان، فلو أمكنهم التحكُّم في المطر والماء والريح - وأنَّى لهم ذلك - لما تركوا الحال كما هي عليه، ولكنهما قال سبحانه: ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1]، وإلى جانب عجزهم عن الإغاثة من القحط فهم عاجزون عن دفع ما يقع من العواصف والصواعق والسُّيول والزلازل والبراكين عن بلدانهم، برغم ما يملكونه من مخترعات وتقنيات عالية، فالحال كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[2]، فقدرة الله فوق قدرتهم، وإرادة الله فوق إرادتهم. ومغزى ذلك كله فإنه إذا تم تلقيح السحب فالنتائج غير مؤكدة، ولهذا لا زالت هذه العمليات محل خلاف ونقاش بين المختصين.

الوجه الرابع: أن عملية استمطار السحب عمل بالأسباب التي قدَّرها الله جلَّ شأنه؛ فلا يظهر ما يمنع منها شرعًا ولا عقلا، فحكمها الذاتي الأصلي أنها مباحة، إذ لا محذور شرعي فيها، وقد تكون من الأسباب المأمور بها في بعض البلاد بحسب ظروفها، من جهة حاجتها للقطر والغيث، كما يصنع الناس في صنعهم للسدود وحفر الآبار وإجراء القناطر[3]، فعملية تشييد القنوات والسدود إنما هو تحكم وتدخل بشري في إدخال الكميات المسموحة دون غيرها بتقليلها أو زيادتها، وهذا لا يسمى تدخلاً وتعدياً على حدود الله إنما هو من الأمور المباحة.

الوجه الخامس: إن عملية الاستمطار تشبه من وجه عملية التلقيح الصناعي للمرأة حيث التدخل البشري المحدود والمسموح به شرعاً وأخلاقا. فالخالق هو الله، وفعل الإنسان إنما هو مجرد سبب.

---

(١) سورة الحجر، من الآية: 22

(٢) سورة فاطر، الآيات 15، 16، ١٧

(٣) استمطار السحب... حقيقته وحُكمه، بقلم: خالد بن عبدالرحمن الشايع، حرر:1428/1/20هـ، khalidshaya@hotmail.com

الوجه السادس: إن عملية الاستمطار تشبه من وجه أيضا عملية تحلية المياه، فالتحلية محاكاة صناعية بشرية لآلية الدورة المائية الطبيعية، والله تعالى يقول: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[1]

فمن نعم الله أن جعل المطر عذباً فراتا. ومع ذلك توجه الإنسان للبحر الأجاج، فقام بتحلية مياهه عبر تقنية عصرية، ولم تكن هذه التقنية محاكاة ومضاهاة لخلق الله، بل هو مما أتاحه وأباحه الله عز وجل... [2]

الوجه السابع: إن العوامل التي شكلت مناخ بعض البلاد أسهمت في وقوع أراضيها في ظل المناخ الصحراوي الجاف، الأمر الذي جعلها مقفرة مائياً، علاوة على التذبذب بنزول الأمطار وقلتها، ونظراً لشح الموارد المائية وظروف التوسع السكاني؛ تبرز أهمية عمليات الاستمطار. فكان لزاماً أن يتدخل العلم في معالجة الجفاف المقدر، ومحاربة التصحر عن طريق استحلاب السحب. [3]

الوجه الثامن: لا تعارض بين عبادة التوكل وبين العمل، فتقنية الاستمطار - في حال نجاحها - هي سبب كغيرها من الأسباب قد تنجح وقد تفشل كما يفعل الطبيب والمزارع والمهندس وغيرهم من تحري وفعل الأسباب الجالبة لتحقيق الهدف. وكما أن الخالق يأمرنا بالتوكل عليه يأمرنا أيضاً بفعل الأسباب، فلا يكفي أن نستسقي دونما حرث وبذر للأرض وإعدادها لاستقبال القطر والمطر لإنبات الزهر، قال عمر ﷺ لجماعة من الأعراب كانوا إذا مرضت إبلهم سألوا عجوزاً الدعاء: "اجعلوا مع دعاء العجوز شيئاً من القطران "[4]، والإنسان في هذا العصر أتاح له

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٧٠

(٢) الاستمطار الصناعي للسحب، د. هيفاء الزبيدي (ص28)

(٣) الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، الدكتور خالد بن مفلح آل حامد، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ - 15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع :

http://www.alriyadh.com/359356

(٤) كانوا إذا أصاب إبل الصدقة الجرب يقولون: نذهب إلى عجوز هناك لتدعو فيشفيها الله تعالى، فقال عمر: لا بأس! هذا جيد، اذهبوا إلى العجوز تدعو، وهاتوا القطران - وهو نوع من العلاج- فاطلوا به هذا الجرب فيزول بإذن الله تعالى، فلا بأس بدعاء العجوز، لكن لا بأس أن نفعل معه سبباً طبيعياً مما جعل الله تعالى

الخالق عز وجل استحلاب السحاب ومضاعفة المطر بإذن الله تعالى عبر تقنية أثبتت بعض التجارب أنها ناجحة نسبياً.

الوجه التاسع: أن التدبر في حقيقة الاستمطار بحسب المعطيات العلمية والضوابط الشرعية من مجالات الاجتهاد العلمي، والذي أطلق الإسلام زمام تحصيله، والبحث في هذا الوجود بهدي من الله، ومن ذلك البحث في حقيقة الغيوم والمؤثرات التي تؤثر فيها والاستفادة من هذه المؤثرات، والتي جعلها الله حسب نواميس هذا الكون ونظامه الذي يسير هذا الوجود من خلاله بإرادته وقدرته؛ ولهذا فإن المحددات الشرعية التي تسمح له بولوج هذا النوع من الاكتشافات، والبحث في مكنون هذا الكون الذي سخره الله، حتى تؤدى به التجارب والبحث العلمي إلى اكتشاف بعض مظاهر الحياة الدنيا، والتي يستدل بها على عظمة الله وقدرته وليطمئن لذلك قلبه أكثر وأكثر، والاستمطار إنما هو اكتشاف وتجارب توافق مسار هذا الكون ونواميسه والتي لا تتعارض مع النصوص الشرعية؛ لأن الذي وضع وسير هذا الوجود وأوجده بنظام إلهي هو الذي أنزل الوحي على محمد ﷺ ولهذا فلا تعارض بين النصوص الشرعية والاستمطار المنضبط من حيث خلوه من العلوم المحرمة والمرفوضة.[١]

ولا يخفى أنَّ الحكم الشرعي لهذه المسألة مبني أيضًا على جوانب خارجة عن ذات العملية، كمثل ما ينبغي من تحقق مستويات الأمان من الفيضانات في المناطق السكنية، وكذلك حجم تكاليفها وعدم التبذير لأجلها على حساب ضروريات أخرى.[٢]

نصوص من فتاوى العلماء حول حكم الاستمطار الصناعي:

١ فتوى علماء اللجنة الدائمة للإفتاء:

وعلق النتائج عليه. (نظرة في مستقبل الدعوة الإسلامية، درس صوتي للشيخ سلمان العودة).

(١) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري ص70

(٢) استمطار السحب... حقيقته وحُكمه، بقلم: خالد بن عبدالرحمن الشايع، حرر:1428/1/20هـ:

khalidshaya@hotmail.com

"ما يسمَّى بـ: "المطر الصناعي": لم يثبت - حسب علمنا - أنه على ما يُذكر عنه، بل الأمر مبالغ فيه، وأمره - والحمد لله - لا يشكل؛ وذلك أن الله أطلعهم على أن المطر يُحدث بقدرة الله بتفاعل أشياء، فهم يعمدون إلى عملها، وقد يحدث حصول بعض الأمر، وقد لا يحدث، وإن حدث فهو في حيِّزٍ ضيق، وليس كالمطر الذي ينزله الله تعالى من السحاب، ولذا نعلم - كما يعلم غيرنا - أن الدول التي تعمد إلى تجربة ما يسمى بـ: "المطر الصناعي" لا تستفيد منه، وإذا لم ينزل الله تعالى عليها المطر من السماء عاشت في قحط وفقر " انتهى.

الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، الشيخ صالح الفوزان، الشيخ بكر أبو زيد. (١)

٢ فتوى الشيخ العلامة عطية صقر:

سئل الشيخ العلامة عطية صقر "إنه توصل بعض العلماء إلى إنزال مطر صناعي، فهل يتنافى ذلك مع قول الله تعالى: "وينزِّل الغَيْثَ"؟

فأجاب بقوله: "كلنا يعلم أن تكاثُف بُخار الماء الموجود في السحاب وفي الجو عامّة يحدث لعواملَ، فينزل المطر أو النّدى، وليس في ذلك مشاركة لقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾(٢)؛ لأن تكوُّن السحاب وامتلاء الجو ببخار الماء على هذا النطاق الواسع هو صنع الله بالوسائط الذي خلقها، فهو الخالق للبخار ولحرارة الشمس والمتحكم في برودة الجو، وكذلك في الرياح وسوقها للسحاب وبقدرته أن يتحكم فيها فلا تنتج أثرًا، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة" المجموعة الثانية (241/1) .

(٢) سورة لقمان، من الآية :٣٤

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[1]

إن العمليات التي يحاول بها بعض الناس إسقاط المطر من السّحاب لها نظائر في نطاق ضيق، في عمليات فصل الملح عن الماء ليصير عذبًا، فهي تدور على التبخير والتكثيف، كما يحدث في الأنبيق [2] الذي تستخرج به العطور، وليس عملهم هذا تدخُّلاً في صنع الله، بل هو تصرُّف واستخدام للمادة التي خلقها الله، ولا يمكن لأحد أن يخلُق الحرارة والبرودة أو الماء بوسائطَ أو موادَّ غير ما أوجدَه الله في الكون.

ومع ذلك فالمحاولات لا تغني؛ لأن كثيرًا من بلاد هؤلاء العلماء تشكو الجَفاف وقلة الماء وهلاك الزرع والحيوان، فلو أمكنهم التحكُّم في المطر والماء والريح كما يتحكّم الله ليُغاثوا من القحط ما سكتوا، فقدرة الله فوق قدرتهم، وإرادة الله فوق إرادتهم، كما أن مداواة المَريض بموادّ خلقها الله لا تبرِّر إسناد الشفاء الحقيقي إلى غير الله.

وإلى جانب عجزهم عن الإغاثة من القحط، عجَزوا عن دفع ما يقع من العواصف والصواعق والسُّيول والزّلازل والبراكين على بلاد المتحضِّرين المزهُوِّين بعلومهم واختراعاتهم، كل ذلك يَزيدنا إيمانًا بقولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[3].[4]

٣ فتوى دار الإفتاء الأردنية:

السؤال: ما حكم الشرع في الاستمطار بالطرق الصناعية عن طريق زيادة كثافة الشحنات الأيونية في السحب بطريقة كهربائية إلكترونية؟

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٣

(٢) (الإنبيق): جهاز تقطر بِهِ السوائل. (المعجم الوسيط (1/ 29)

(٣) سورة فاطر، الآيات 15، 16، ١٧

(٤) فتوى الشيخ عطية صقر بتاريخ 2006/4/14م، وهي منشورة على شبكة الإنترنت:

http://www.islamonline.net/servlet/S...AAskTheScholar

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله.

نزول الغيث مرتبط بإرادة الله سبحانه وتعالى، قال الله ع ـز وج ـل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]

وقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الكون، وجعله قائماً على الأسباب، وطلب منا الأخذ بتلك الأسباب مع الاعتماد عليه - سبحانه وتعالى - قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[2]. فالله تعالى بقدرته يرسل الرياح فتسوق سحاباً مبشرة بنزول ماء طاهر مطهر يشرب منه الناس ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[3]، أي: ذلكم الله الفاعل لهذه الأمور البديعة هو ربكم العظيم الشأن الذي له الملك والسلطان والتصرف الكامل في الخلق والكون.

ولا مانع شرعاً أن يلجأ الناس إلى أساليب وأسباب مادية للاستمطار من الرياح والسحاب التي سخرها الله تعالى بواسطة المكتشفات العلمية الحديثة، التي يثبت لدى أهل الاختصاص فاعليتها وجدواها، ولا يترتب عليها أي أضرار بالبيئة أو بالإنسان أو بالحيوان. وأما إذا ترتّب على مثل هذه التقنيات ضرر على البيئة أو الكائنات الحية، أو ثبت عدم فاعليتها لدى المختصين؛ فإنها لا تجوز، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: « لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ »[4]، ولنهيه - عليه الصلاة والسلام - عن إضاعة

---

(١) سورة لقمان، الآية٣٤

(٢) سورة فاطر، الآية : ٩

(٣) سورة الزمر، الآية : ٦

(٤) سبق تخريجه في مقدمة هذا البحث.

المال، حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ »[١]

ولا ينبغي لمن يقوم بهذا العمل أن يكون اعتماده على الأسباب، بل يجب أن يكون اعتماده على الله تعالى، وتوجهه إليه سبحانه، قال تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[٢] والله أعلم.[٣]

4- فتوى الشيخ سليمان الماجد.

السؤال: ما حكم الاستمطار الصناعي؛ لأن بعض العامة تكلم به، فمنهم مؤيد ومنهم معارض ؟ وجزاك الله خيراً.

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. لا نعلم في الشريعة ما يمنع من الاستمطار الصناعي، وإنما غاية ما يفعله البشر هو وضع بعض العوامل المؤثرة في نزول المطر، وأما العملية الكاملة التي ينزل بها المطر بإذن الله -عز وجل- فهذا ما لا يقدر عليه البشر، حيث يؤثر - بإذن الله في نزول المطر - عوامل عدة منها: الشمس والتبخر ودرجة الحرارة والجو، ونسبة الرطوبة، والضغط الجوي، وملقحات السحب، والبشر لا يقومون إلا بعملية واحدة. والله أعلم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 124)، حديث رقم:1477، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: 273] وَكَمُ الغِنَى، (8/ 100)، حديث رقم:6473، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ، ومسلم في صحيحه (3/ 1341)، حديث رقم:593، كِتَابُ الأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لا يَسْتَحِقُّهُ، وأخرجه غيرهما.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٨، 69

(٣) يراجع نص الفتوى : على موقع: دار الإفتاء الأردنية:
ttp://aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=2573#.V2XVF9R95kh
اسم المفتي : لجنة الإفتاء، الموضوع : حكم الاستمطار بالطرق الصناعية، رقم الفتوى 2573، التاريخ 02-08-2012

(٤) فتوى للشيخ سليمان الماجد الاستمطار الصناعي، فتوى رقم : 10546، بتاريخ : 1430/10/29 :

5- فتوى الدكتور خالد المصلح :

قال: لا حرج في عمليات استمطار السحب، وهو نظير ما حصل من استخراج المياه من الأراضي بالحفر، والأصل في الوسائل التي يحصل بها الإنسان على مقصوده وتخلو من المحظورات الشرعية الإباحة، والاستمطار لا يعارض قدرة الله تعالى، بل هو من قدرة الله الذي أقدرنا على أن نصل الى هذه الأسباب. (١)

الترجيح:

بعد عرض آراء الفقهاء المعاصرين وما ساقوه من أدلة ومناقشة فإن الذي يبدو لي رجحانه - والله أعلم - هو القول بجواز الاستمطار الصناعي كتقنية ووسيلة حديثة لإنزال المطر، كسائر التقنيات التي توصل إليها العلم الحديث، كالتلقيح الصناعي، وتحلية المياه، وغيرهما.

ومع القول بالجواز والإباحة، إلا أن هذا العمل قد يقترن به بعض المحاذير التي لا بد من التنبيه عليها، ومن ذلك مثلاً اعتقاد من يقوم بهذا العمل أو غيرهم من عموم الناس أن المطر وجد بهذه الأسباب ولولاها لم يوجد، فالمحذور هو نسبة المطر إلى تلك الأفعال؛ لأن الله سبحانه هو المنفرد بالخلق والإنشاء، فلا يصح أن ينسب نزول المطر لفعل أحد من الناس كائناً من كان، كما لا يصح نسبة نزول المطر للكواكب والنجوم أو غيرها مما هو تحت تصرف العزيز الحكيم، ولذا جاء الحديث بالتنبيه على هذا المعنى؛ لأجل حماية معتقدات الناس وسلامتها مما قد يشوبها من شوائب الشرك، وبهذا يعلم أن المنهي عنه هو نسبة المطر إلى شيء من تلك الأفعال على أن لها تأثيراً وفعلاً مع فعل الله سبحانه، أما لو نسب نزول المطر إلى ما جرت العادة بأنه ينزل عنده فيقال: هذه الريح أو هذا

---

http://www.salmajed.com/fatwa/findnum.php?arno=10546

(١) فتوى د. خالد المصلح:

http://www.almisnid.com/almisnid/m-admin/upload/ff36a02c3ea31594c2505710ecfcc93f.jpeg

الوقت أو هذا الفعل قد يوجد عنده المطر، وأن تلك الأمور غير مستقلة به من دون قدرة الباري سبحانه وإرادته، فهذا لا بأس به.[١]

فلا بد من الاعتقاد التام والجازم بأن منزل المطر ومنشئه هو الله سبحانه وتعالى، وأن ما يقوم به الخبراء من تجارب ما هو إلا وسائل قد تنجح وقد تفشل؛ لأن الأمر كله بيد الله.

إن الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تكوين المزن ونزول المطر لا يمكن أن يصنعها البشر، بل وحتى لا سبيل إلى التحكم فيها؛ وذلك لأن لكل من هذه الطرق ظروفها الخاصة، ولا يزال موضوع المطر الصناعي واستمطار السحب العابرة مجرد تجارب لم يثبت نجاحها بعد، وحتى إذا ما تم نجاحها فإن من اللازم أن تتوفر الظروف الطبيعية الملائمة للمطر الطبيعي، حتى يمكن استمطار السماء صناعياً، أي إن واجب علماء الطبيعة الجوية لا يتعدى قدح الزناد فقط بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية.

فلن يمكن أبداً إسقاط مطر من سحابة لا تحتوي على سمات السحابة القابلة للهطول، أو من سحابة لم تصل إلى درجة مناسبة من التطور أو النضج، وبالتالي فإن الإنسان لا يستطيع إلا أن يعجل بعملية الهطول مستعيناً في ذلك بالوسائل التنقية الملائمة، على شرط أن تكون الظروف الطبيعية لذلك مجهزة سلفاً، ولو كان الأمر غير ذلك لما كان الجفاف عملياً، وهذا غير حادث، وكما هو واضح فإن التحكم بالمطر والطقس الجميل ما زال حتى اليوم حلماً، ولا يستطيع الإنسان أن يقطع كيفما يشاء الدورة الثانية التي تضمن حركة المياه في الطبيعة.

وعليه، فإن فقهاء وعلماء الشريعة، ومثلهم علماء الأرصاد الجوية والمناخية متفقون على أن الماء سر من أسرار الله في الطبيعة، ولا زالوا يؤكدون أن رحلة الماء في أجسامنا ومن حولنا ومن فوقنا ومن تحتنا في بداياتها، فكيف بالمطر الصناعي؟![٢]

---

(١) استمطار السحب، د. عبدالله السحيباني (ص7)

(٢) الاستمطار في الاسلام للدكتور ياسين الغادي، (ص423، 424)

وبعد القول بجواز وإباحة الاستمطار الصناعي، فمما تجدر الإشارة إليه أنه ينبغي على العلماء والخبراء الذين يقومون بإجراء عملية الاستمطار الالتزام بالآداب والضوابط الشرعية التالية:

1- التقوى والإيمان المطلق بالله، وأن كل شيء في الوجود بقضائه وقدره، ولا يكون في الكون من شيء إلا بإرادته وتحت مشيئته، ومن ذلك المطر فإنه مما اختص الله سبحانه بالتصرف قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٣]

يقول ابن القيم: "وكما أنّ تقوى الله مَجلَبة للرزق، فتركُ التقوى مجلبة للفقر، فما استُجْلِبَ رزقُ الله بمثل ترك المعاصي." [٤]

2- إظهار التذلل والانكسار بين يدي الله والضعف والخشوع والحاجة والفقر إليه تعالى، والاعتراف بأن الإنسان لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، لأن في ذلك اعتراف بالعبودية من المخلوق والربوبية والألوهية لله تعالى، وهذا من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه.[٥]

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاضِعًا مُتَبَذِّلا مُتَخَشِّعًا مُتَرَسِّلا مُتَضَرِّعًا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ» [٦]

---

(١) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص88)

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١١

(٣) سورة الأعراف، الآية ٩٦

(٤) الداء والدواء ط المجمع (1/ 133)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 52)

(٥) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص89)

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه واللفظ له(1/ 403)، حديث رقم: 1266، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، والترمذي في سننه (2/ 445)، حديث رقم:558، كتاب الجمعة، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء، قال أبوعيسى الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح»

3- التوكل المطلق على الله بعد بذل الأسباب من الدعاء والاستغفار والصلاة وما شرع في ذلك من أفعال، والعلم اليقين مع ذلك أن هذه أسباب قد تؤثر في مسبباتها إذا أراد الله وقد لا تؤثر وكل شيء بقدر.[١]

4- الصلاة ركعتين، وقد اعتبر العلماء ركعتي الاستسقاء من السنن المؤكدة، يقول ابن رشد: " أجمع العلماء على أن الخروج إلى الاستسقاء، والبروز عن المصر، والدعاء إلى الله - تعالى - والتضرع إليه في نزول المطر سنة سنها رسول الله ﷺ، واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء، فالجمهور على أن ذلك من سنة الخروج إلى الاستسقاء إلا أبا حنيفة فإنه قال: ليس من سنته الصلاة، وسبب الخلاف: أنه ورد في بعض الآثار «أنه استسقى وصلى»[٢]، وفي بعضها لم يذكر فيها صلاة." [٣]

5- استصحاب الاستغفار وكثرة الذكر والدعاء عند الاستمطار، وعدم ارتكاب المخالفات الشرعية عند طلب السقيا ونثر المواد المحفزة لنزول المطر والدعاء بما يناسب المقام فعند نزول المطر.[٤]

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: « اللهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا هَنِيئًا»[٥]

6- إحسان الظن بالله تعالى؛ لأن إحسان الظن من الأمور التي يستدر بها العبد عطف الرب وحسن التوكل عليه.

---

(١) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص90)

(٢) أخرجه النسائي في سننه (3/ 157) حديث: (1510) كتاب الاستسقاء، باب تقليب الإمام الرداء عند الاستسقاء، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (4/ 426)

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (1/ 224، 225)

(٤) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص90)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 32) حديث1032 كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت، وأحمد في مسنده – واللفظ له - (41/ 137) حديث24589، وأخرجه غيرهما.

يقول ابن القيم : "ولا ريب أنّ حسن الظن إنّما يكون مع "الإحسان" فإنّ المحسن حسن الظن بربه أنّه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده. " (١)

7- عدم نسبة المطر على شيء من مخلوقات الله كقوله: "مطرنا بنوء كذا"، بل يقال: مطرنا بفضل الله تعالى؛ ولأن كل ذلك من فضل الله سواء المطر، أو الوسائل التي استخدمت لاستحلاب المطر عند تأخره، أما قولهم: "مطرنا بنوء كذا" فذلك إيمان بالكوكب كفر بالله. (٢)

قال الإمام الشافعي: " إن من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك إيمان بالله؛ لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ولا يمطر، ولا يصنع شيئا. وأما من قال: "مطرنا بنوء كذا" على معنى مطرنا بوقت كذا فإنما ذلك كقوله: "مطرنا في شهر كذا"، ولا يكون هذا كفرا." (٣)

ويقول ابن عبد البر: " فإن المعتقد أن النوء هو الموجب لنزول الماء وهو المنشئ للسحاب دون الله - عز وجل - فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه وقتله لنبذه الإسلام ورده القرآن." (٤)

8- عدم الجزم بأن للمطر مواعيد يجزم بها، وأوقات محددة. فعن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلا

---

(١) الداء والدواء ط المجمع (1/ 44)
(٢) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص92)
(٣) الأم للشافعي (1/ 288)
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (16/ 286)

اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلا اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا اللَّهُ".(١)

9- من آداب الاستمطار أن يعلم أن الاستمطار لا يزيد من كمية المطر النازل على الكرة الأرضية كما ذكر أهل العلم.(٢)

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٣)

وعن عبد الله بن مسعود قال: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء، عاما هاهنا وعاما هاهنا، ثم قرأ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٤)

قال ابن الجوزي :" ذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حُكمنا وتدبيرنا، وَما نُنَزِّلُهُ كل عام إِلَّا بِقَدَر مَعْلُوم لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثرُ مطراً من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء."(٥) وقد ذكر علماء معاصرون أن نسبة الماء النازل من المطر سنويا ثابتة لا تزيد ولا تنقص وإن نقصت في مكان زادت في مكان آخر، لكن النسبة العامة ثابتة.

10- أن يكون الاستمطار لحاجة؛ لأنه إن كان لغير حاجة كان من العبث والعبث من الأمور الممقوتة التي تمجها العقول السليمة وتأباها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 115) حديث 4778 كتاب التفسير، سورة لقمان، بَابُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾(9/ 116) حديث 7379 كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾وأخرجه غيره.

(٢) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص94)

(٣) سورة الحجر، الآية ٢١

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 507) حديث رقم: (6481) كتاب صلاة الاستسقاء، باب كثرة المطر وقلته، وقال: روي مرفوعا بهذا الإسناد، والصحيح موقوف. وأخرجه مرفوعا أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (7/ 208) وقال: تفرد به علي بن حميد.

(٥) زاد المسير في علم التفسير (2/ 529)

الطبائع السوية، ويكون من باب إضاعة المال العام، مما يدخل في الإسراف والتبذير.(١)

وبعد ما ذكر من ضوابط وآداب يجب الالتزام بها عند القيام بعملية الاستمطار، يمكننا القول بأن الاستمطار مشروع مقبول، ويمكن الاستفادة منه، ولا يتعارض مع نصوص الشريعة وقواعدها العامة التي تدعو لتحقيق المصلحة، ما دام هذا المشروع لا ضرر فيه ولا يؤثر على صحة الإنسان والحيوان والنبات، وما دامت نتائجه الإيجابية ظاهرة بزيادة كميات المطر وتوفير المياه اللازمة للزراعة وغيرها من الفوائد التي سبق ذكرها، فحينئذ لا مانع شرعا من استخدام هذه التقنية الحديثة لمصلحة العباد، أما إذا ظهر خلاف ذلك بأن كانت نتائجه سلبية، وكان الضرر المترتب عليه محققا، وفاق ضرره مصلحته كان ممنوعا ومحرما، والله أعلم.

*****

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالرحمات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد كشفت هذه الدراسة عن العديد من النتائج التي كان منها ما يلي:

1- إن الاستمطار يعرف عند الفقهاء المعاصرين بأنه: (طلب مطر ممكن بآلة مباحة). كما يعرف الاستمطار الصناعي علميا بأنه: (محاولة إسقاط الأمطار من السحب الموجودة في السماء، سواء ما كان منها مدرا للأمطار بشكل طبيعي، أو لم يكن كذلك).

2- تجرى عملية الاستمطار بطريقتين رئيستين:

الأولى: طريقة جوية بواسطة طائرة خاصة تحلق تحت السحابة أو فوقها أو داخلها على وفق لطبيعته. وبهذه الطريقة يتم نثر الغيوم من الجو بنظامين للنثر الجوي، وذلك بواسطة مولدين مثبتين تحت جناح الطائرة.

---

(١) الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د. ملفي الشهري (ص 102)، وللمزيد يراجع: الاستمطار في الاسلام ياسين الغادي (ص427) وما بعدها.

الثانية: طرق أرضية عبر المدافع المضادة للطيران؛ إذ يتم استمطار السحب من الأرض بواسطة نثر الغيوم من محطات الاستمطار بأنوية أيوديد الفضة حسب الأوضاع الجوية السائدة، ولكل مرة نثر طريقة.

3- إن ظاهرة الاستمطار الصناعي رغم أنها من النوازل المعاصرة إلا أن العرب قديما قد استخدموا وسائل مشابهه لها وقت إمساك المطر لإنزاله.

وفي العصر الحديث بدأت فكرة استمطار السحب عن طريقة تلقيحها بالمواد المدرة للمطر منذ بداية القرن العشرين الميلادي.

4- للاستمطار الصناعي فوائد كثيرة منها: مضاعفة كمية المطر بشكل نسبي، كما أنه يساعد نسبياً على الحد من الجفاف، وزيادة المخزون المائي في السدود، وتغذية الخزانات المائية الجوفية، كما يحسّن الميزانية المائية، ويحد من التلوث الجوي، ويكافح التصحر والجفاف، ويزيد زمن الهطول، من خلال البذر المنظم للسحب المستهدفة.

5- هناك العديد من المشاكل والأضرار في حالة الاستخدام السيء لتقنية الاستمطار، منها: أن العوامل التي يجب أن تتوفر في سبيل القيام بهذه التقنية مازالت مكلفة ماديا. كما أن التكنولوجيا ما زالت غير متطورة تماماً، وهذا مما يجعل النتائج غير مضمونة. كما يوجد المشكلات السياسية، فبعض البلدان قد تطلب المطر أكثر من غيرها، وقد تتهم بعض الدول التي تجري مثل هذه العمليات باختلاس الموارد الطبيعية من الرطوبة الجوية.

6- القول الراجح في الحكم الشرعي للاستمطار الصناعي هو القول بالجواز كتقنية ووسيلة حديثة لإنزال المطر، كسائر التقنيات التي توصل إليها العلم الحديث كالتلقيح الصناعي، وتحلية المياه، وغيرهما.

7- إن القول بجواز وإباحة الاستمطار الصناعي، ليس قولا مطلقا، بل لابد من الالتزام بالآداب والضوابط الشرعية كالتقوى والإيمان المطلق بالله، وأن كل شيء في الوجود بقضائه وقدره وتحت مشيئته، ومن ذلك المطر فإنه مما اختص الله سبحانه بالتصرف فيه. وإظهار التذلل والانكسار بين يدي الله والضعف والخشوع والحاجة والفقر إليه تعالى،

والتوكل المطلق على الله بعد بذل الأسباب، وعدم نسبة المطر على شيء من مخلوقات الله، إلى غير ذلك من الآداب التي سبق ذكرها.

8- الاستمطار من الأمور التي لا يستطيع أن يتحكم في نزول المطر بواسطته أحد من البشر، بل هو بيد الله وقدرته، وهو من باب الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله وكلاهما مأمور بهما في الشرع، فعملية الاستمطار لا تعدو سببًا من الأسباب التي يبذلها العباد، والتي تسير وفق السنن الكونية التي أوجدها الله جل وعلا.

9- لا تعارض بين عبادة التوكل وبين العمل، فتقنية الاستمطار - في حال نجاحها - هي سبب كغيرها من الأسباب قد تنجح وقد تفشل.

10- إن التدبر في حقيقة الاستمطار بحسب المعطيات العلمية والضوابط الشرعية من مجالات الاجتهاد العلمي، والذي أطلق الإسلام زمام تحصيله، والاستمطار إنما هو اكتشاف وتجارب توافق مسار هذا الكون ونواميسه والتي لا تتعارض مع النصوص الشرعية؛ ولهذا فلا تعارض بين النصوص الشرعية والاستمطار المنضبط من حيث خلوه من العلوم المحرمة والمرفوضة.

وبعد، فاستغفر الله مما في هذا البحث من التقصير، وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يرزق عملي القبول، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والحمد لله في الأولى والآخرة، وأسأله - سبحانه وتعالى - العفو والمغفرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1]

*****

(١) سورة البقرة، من الآية: 286

فهرس المصادر و المراجع

أولا- كتب التفسير وعلومه:

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ.

٢. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بدون بيانات.

٣. تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: الدكتور عبد الله الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولى، 1416هـ- 1996م.

٤. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية 1420هـ - 1999 م.

٥. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، 1418هـ- 1997م.

٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ -2000 م.

٧. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 200م.

٨. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وأخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ- 1964م.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: الأولى، 1415هـ.

١٠. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - 1422 هـ.
١١. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
١٢. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط: السابعة عشر، 1412 هـ.
١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ.
١٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م.
١٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - 1415 هـ.
١٦. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ -1998م.
١٧. لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن القشيري، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: الثالثة.
١٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين البغوي، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط : الأولى، 1420 هـ.
١٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وأخرون، قدمه: د.عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ- 1994 م.

ثانيا - كتب الحديث وشروحه:

٢٠. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، للألباني، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

٢١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي وآخرون، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية– المغرب، 1387 هـ.

٢٢. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

٢٣. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، لأبي عبد الرحمن البسام، حققه: محمد حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، ط: العاشرة، 1426 هـ - 2006 م.

٢٤. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي نور الدين، دار الجيل- بيروت، دار الفكر، ط : الثانية.

٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

٢٦. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وأخرون، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، 1430 هـ- 2009م.

٢٧. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، لأبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

٢٨. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، حققه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424هـ - 2004م.

٢٩. السنن الكبرى، للبيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
٣٠. الشَّافِي فيْ شَرْحِ مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيرْ، لأبي السعادات المبارك ابن الأثير، تحقيق: أبي تميم، مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولي، 1426 هـ - 2005 م.
٣١. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422هـ.
٣٢. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج لأبي الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد حيدرالعظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، 1415 هـ.
٣٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء- الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م.
٣٦. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1411 – 1990م.
٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
٣٨. المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، 474هـ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط: الأولى، 1332 هـ.

٣٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية.
٤٠. نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني، ، دار الحديث، مصر، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.

ثالثا ـ كتب الفقه :

الفقه الحنفي:

٤١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، 1406هـ - 1986م.
٤٢. البناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
٤٣. تحفة الفقهاء، لعلاء الدين السمرقندي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: الثانية، 1414 هـ - 1994 م.
٤٤. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1423هـ- 2002م.
٤٥. رد المحتار على الدر المختار، لمحمد أمين عابدين، دار الفكر- بيروت، ط: الثانية، 1412هـ - 1992م.

الفقه المالكي:

٤٦. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري، المكتبة الثقافية – بيروت.
٤٧. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لشهاب الدين النفراوي، دار الفكر، 1415هـ - 1995م.
٤٨. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي، لأبي العباس أحمد الخلوتي، الشهير بالصاوي، دار المعارف، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤٩. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، لأبي الحسن علي بن أحمد بن مكرم العدوي، تحقيق: يوسف محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت، ط: بدون طبعة، 1414هـ - 1994م.
٥٠. النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، لأبي محمد عبد الله بن القيرواني، تحقيق: د. عبد الفتّاح محمد الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1999 م.
٥١. التلقين في الفقه المالكي، لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر، تحقيق: أبي أويس محمد الحسني، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1425هـ-2004م.
٥٢. التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، لخليل بن إسحاق ضياء الدين الجندي، تحقيق: د. أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط: الأولى، 1429هـ - 2008م.
٥٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الحديث – القاهرة، ط: بدون طبعة، 1425هـ - 2004م.

الفقه الشافعي:

٥٤. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي، ط: بدون طبعة، وبدون تاريخ.
٥٥. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر-بيروت.
٥٦. البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى العمراني، تحقيق: قاسم النوري، دار المنهاج – جدة، ط: الأولى، 1421 هـ-2000 م.
٥٧. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، إلمكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1357 هـ - 1983 م، ثم صورتها دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٨. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، المطبعة الميمنية، ط: بدون طبعة، وبدون تاريخ.
٥٩. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا بن محمد الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط: 1414هـ-1994م.
٦٠. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، 676هـ)، دار الفكر.
٦١. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415هـ - 1994م.

الفقه الحنبلي:

٦٢. الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتى، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.
٦٣. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتى، دار الكتب العلمية.
٦٤. المبدع في شرح المقنع، لإبراهيم بن محمد ابن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
٦٥. المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، مكتبة القاهرة، ط: بدون طبعة، 1388هـ - 1968م.

الفقه الظاهري:

٦٦. المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

الفقه الزيدي:

٦٧. الروضة الندية (ومعها: التعليقاتُ الرَّضية على «الرَّوضة النّديَّة»)، لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، التعليقات بقلم: الشيخ محمَّد نَاصِر الدّين الألبَاني، ضبط نصَّه، وحقَّقه، وَقَام على نشره: علي بن حسَن الأثريّ، دَارُ ابن القيِّم للنشر والتوزيع، الرياض -

المملكة العربية السعودية، دَار ابن عفَّان للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
٦٨. الرِوضة الندية شرح الدرر البهية، لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، دار المعرفة.

الفقه الإمامي:

٦٩. جواهر الكلام "في شرح شرائع الإسلام "- لمحمد حسن النجفي، حققه: عباس القوچاني، ط: الأولى، خورشيد دار الكتب الإسلامية - طهران، 1367 هـ.
٧٠. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة- ليوسف البحراني، قام بنشره: الشيخ على الأخوندى، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، بقم المشرفة - إيران .
٧١. رياض المسائل- للسيد علي الطباطبائي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٧٢. مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام- لزين الدين العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط:الأولى، مطبعة: چاپ وگرافيك بهمن- قم، 1413 هـ.
٧٣. مفتاح الكرامة- للسيد محمد العاملي، تحقيق: محمد الخالصي، ط:الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة-ردمك: 1419هـ.

رابعا-مراجع فقهية حديثة:

٧٤. الاستمطار حقيقته وضوابطه الشرعية، د.ملفي بن حسن الشهري، ط: الأولى، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر، 1431هـ، 2010م.
٧٥. الاستمطار في الاسلام بحث منشور للدكتور ياسين محمد الغادي مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت عام ١٤٢٣ هـ.
٧٦. الاستمطار، لأحمد خليل، ومحمد علي فياض، دار سعاد الصباح –القاهرة، 1999م.

٧٧. الاستمطار، لعلي حسن موسى، دار الفكر المعاصر –لبنان بيروت، 1993م.
٧٨. فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض.
٧٩. نازلة الاستمطار الصناعي، إعداد عبد اللطيف بن صالح المقوشي، إشراف يوسف بن أحمد القاسم، بحث مكمل لرسالة (الماجستير) - المعهد العالي للقضاء، 1433هـ، 2012م.

خامسا-كتب العقيدة:

٨٠. الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، لعبد الرحمن بن يوسف الأفريقي، تحقيق: أحمد فهمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثانية، 1412هـ.
٨١. توحيد الخالق، للشيخ عبد المجيد الزنداني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-مصر، 2001م.
٨٢. ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، لمحمد بن إبراهيم الرومي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1434 هـ- 2013 م.
٨٣. الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، لأبي المنذر مصطفى المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
٨٤. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد الحوامدي، المصحح، محمد خليل هراس، دار الفكر.
٨٥. شرح فتح المجيد، عبد الله بن محمد الغنيمان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http:-- www.islamweb.net
٨٦. العقل والنقل عند ابن رشد، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي، إلجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة الحادية عشرة - العدد الأول - غرة رمضان 1398هـ-1978م.

٨٧. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بدون بيانات.
٨٨. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لمحمد بن إبراهيم القاسمي، حققه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط:الثالثة، 1415هـ- 1994 م.
٨٩. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، لحامد بن محمد بن محسن، تحقيق: بكر بن عبد الله، دار المؤيد، ط: الأولى 1417هـ -1996م.
٩٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر. ط: السابعة، 1377هـ-1957م.
٩١. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. ط: الثانية، محرم 1424هـ.
٩٢. الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي، محمد بن حسين الفقيه، دراسة وتحقيق: د- صالح بن علي المحسن، وآخرون، دار الفضيلة – الرياض، ط: الأولى 1422 هـ - 2002 م.
٩٣. لله العلم، بشير التركي، تونس، 1979م.
٩٤. مجمل أصول أهل السنة، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http:--www.islamweb.net
٩٥. منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، لأحمد بن علي الزاملي إشراف: عبد الرحمن التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ.

٩٦. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد متولي، دار ماجد عسيري، ط: الأولى 1425هـ-2004م.

سادسا-كتب اللغة والمعاجم:

٩٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من تحقيقي، دار الهداية.
٩٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، لأبي منصور، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 2001م.
٩٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
١٠٠. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٠١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، لأبي الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ.
١٠٢. مجمل اللغة لأحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية - 1406 هـ .
١٠٣. المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
١٠٤. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ-1996م.

١٠٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1424هـ بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
١٠٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

سابعا-كتب الأدب:

١٠٧. الأزمنة والأمكنة، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1417هـ.
١٠٨. الأمالي، لأبي علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، 1344 هـ - 1926م.
١٠٩. الأوائل لابن أبي عاصم، لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
١١٠. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد الثعالبي، دار المعارف – القاهرة.
١١١. الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، لأبي الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت.
١١٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط: الأولى، 1412 هـ.
١١٣. شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور موهوب ابن الجواليقى، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١٤. شرح شواهد المغني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيل وتعليقات: الشيخ محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ط: 1386 هـ - 1966 م.
١١٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى، تحقيق: د حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر

(بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
١١٦. عيار الشعر، لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة.
١١٧. عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418 هـ.
١١٨. نثر الدر في المحاضرات، لمنصور بن الحسين الرازي، تحقيق: خالد محفوط، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان، ط: الأولى، 1424هـ - 2004م.
١١٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب البكري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، 1423 هـ.

ثامنا-كتب التراجم :

١٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
١٢١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ، ط: الأولى، 1415هـ - 1994 م.
١٢٢. تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٢٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، 1400 – 1980.
١٢٤. الثقات، لمحمد بن حبان، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د. محمد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: الأولى، 1393 هـ- 1973.
١٢٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين لأبي عبد الله محمد الذهبي، دار الحديث- القاهرة، ط: 1427هـ-2006م.

١٢٦. معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، بدون بيانت.
١٢٧. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ- 2000م.

تاسعا-كتب متنوعة:

١٢٨. البدائل المطروحة لمواجهة تناقص المياه الجوفية، حسن محمد الجديدي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة، 2009.
١٢٩. المناخ التطبيقي علي أحمد غانم، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان- الأردن، 2010م.
١٣٠. تلوث البيئة د. شفيق يونس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1999م.
١٣١. جامع الرسائل، لتقي الدين لأبي العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : د. محمد سالم، دار العطاء – الرياض، ط : الأولى 1422هـ - 2001م.
١٣٢. قاعدة في المحبة، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.
١٣٣. الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، حققه: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط دار عالم الفوائد بجدة، ط: الأولى، 1429هـ.
١٣٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن تيمية، تحقيق: علي ابن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية، 1419هـ - 1999م.

١٣٥. جامع الرسائل، لأحمد بن تيمية، تحقيق : د. محمد سالم، الناشر : دار العطاء – الرياض، ط : الأولى 1422هـ - 2001م.

عاشرا-مواقع شبكة الانترنت:

١٣٦. (http:--www.salmajed.com-fatwa-findnum.php?arno=10546)

١٣٧. http:--aliftaa.jo-Question.aspx?QuestionId=2573#.V2XVF9R95kh

١٣٨. http:--fatwa.islamweb.net-fatwa-index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&lang=A&Id=60048

١٣٩. http:--www.almisnid.com-almisnid-m-admin-upload-ff36a02c3ea31594c2505710ecfcc93f.jpeg

١٤٠. http:--www.dahran.net-dahran-articles.php?action=show&id=300،

١٤١. http:--www.islamonline.net-servlet-S...AAskTheScholar

١٤٢. الاستمطار الصناعي جائز شرعا سعد بن تركي الخثلان: http:--www.moheet.com

١٤٣. الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، الدكتور خالد بن مفلح آل حامد، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ - 15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع : http:--www.alriyadh.com

١٤٤. الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً وخطر على صحة الإنسان والحيوان، خالد ابن مفلح آل حامد النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية، (اقتصاديات البيئة) الثلاثاء 12 رجب 1429هـ -15 يوليو 2008م - العدد 14631 على موقع : http:--www.alriyadh.com-359356

١٤٥. استنزال المطر من السحب ومدى جوازه، للدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة بحث منشور على شبكة الإنترنت: http:--fiqh.islammessage.com-NewsDetails.aspx?id=5053
١٤٦. الاستمطار الصناعي بين النتائج الإيجابية والفهم الخاطئ، يهدف إلى المحافظة على موارد السلطنة واستدامتها – تحقيق: عامر الأنصاري: http:--omandaily.om-?p=164190
١٤٧. الاستمطار وحكمه د. أحمد بن محمد العمودي: http: -www.dahran.net-dahran-articles.php?action=show&id=300
١٤٨. الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، د. هيفاء الزبيدي، بحث منشور على موقع: رياض العلم: www.riyadhalelm.com
١٤٩. اصطياد السحب والمطر من سماء الدول العربية، د. عصام محمد خليل النيل: http:--www.startimes.com-?t=6686671
١٥٠. أكثر 10 دول عربية معرض لأسوأ أزمة مياة بحلول عام 2040 – عمر حميد http:--www.topsarabia.com-
١٥١. أهمية الماء للإنسان، ١٠ مايو ٢٠١٥، http:--mawdoo
١٥٢. بحث حول أهمية الماء بواسطة: ايناس كمال - آخر تحديث: ٠٥:١٥، ٨ يونيو ٢٠١٦ http:--mawdoo
١٥٣. تقنية الاستمطار، د. عبد الله المسند: http:--www.almisnid.com
١٥٤. المطر الصناعي " حقيقته، وأقوال العلماء فيه: ttps:--islamqa.info-ar

١٥٥. مقال للدكتور علي بن فهد أبابطين، عضو هيئة التدريس بالكلية التقنية ببريدة، 30 - 1 - 1428هـ: منشور على موقع شبكة الرد الإلكترونية:
http:--alradnet.com-
١٥٦. نقص المياه يهدد عشرات الدول:
http:--www.aljazeera.net-news

*****

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	413
المبحث الأول: في تعريف الاستمطار، وأنواعه، وطرقه، وتاريخه، وأسبابه وضوابطه، وفوائده وأضراره.	419
المطلب الأول: تعريف الاستمطار الصناعي.	420
المطلب الثاني: طرق الاستمطار.	427
المطلب الثالث: تاريخ الاستمطار.	435
المطلب الرابع: فوائد الاستمطار وأضراره.	440
المبحث الثاني: الحكم الشرعي للاستمطار الصناعي.	448
أدلة الرأي الأول القائل بالحظر والتحريم.	451
أدلة الرأي الثاني القائل بالإباحة والجواز.	483
نصوص من فتاوى العلماء حول حكم الاستمطار الصناعي.	500
الترجيح.	506
الخاتمة.	514
فهرس المصادر والمراجع	518
فهرس الموضوعات	539